قصة موسى في القرآن الكريم

رؤية لغوية جمالية لبنية التكرار

الدكتورة. منال صلاح الدين الصفار

Moses Story in Holly Quran, linguistic and Aesthetic Vision for Repetition Structure

Ph.D. Manal Salah Al Din Al Safar

Talk about the story of Prophet Moses that mentioned in the holly Quran in ٣٤ Verses that dealt with many aspects of his life (Peace Be upon Him) and ended with derivation of examples and lessons from those adjectives.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قال تعالى:] ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Zيوسف: ١١١ [سورة يوسف: آية ١١١] .

القرآن الكريم كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحاً ويستبين منهجها. والقصص القرآني يدل على حقيقة الدين ويحدد تحديداً حاسماً الطريقة الوحيدة لمرضاة رب العالمين ،كذلك يدل على طبائع الناس ووسائل علاجها. وسنن الله في عقابها أو معاناتها؛ لأن الإنسان هو الإنسان من مئة قرن خلت إلى مئة قرن يلدها المستقبل المنظور، لن تتغير طبيعته ولن يتبدل جوهره(١).

ومن هنا كرر القرآن قصص الأنبياء مع أممهم ليداوي عللاً متشابهة؛ فهو يقص من أحوال الماضين ما فيه عبرة للحاضرين ومن بعدهم، وهو في كل هذا يشير إلى موضع العبرة من سَوْق القصة كاشفاً وجه الحكمة في الأخبار بها من البشارة أو النذارة أو التدليل على صدق القرآن .. وصدق الآتي به محمد (ﷺ)(٢) .

فالناظر إلى قصص القرآن يجد أن الهدف من التكرار هو الهداية والعبرة ،فالتكرار يذكّر الأمم دائما بالمصير الذي حل بمن سبقهم من الأمم التي وقفت موقف التحدي من أنبيائها(٣). كما أن في عرض هذه القصص ايناساً للرسول(عليه أفضل الصلاة والسلام) بأخبار إخوانه من المصطفين. كما أن في ذكرها بيانا لحقائق الإسلام كحقيقة التوحيد والبرهان عليها. وسوق الأدلة على التوحيد في سياق قصة بجعله يسري إلى النفوس من غير مقاومة وتكراره يجعله يخط في النفس خطوطاً وتتعمق الخطوط فيكون إيماناً(٤)؛

---

(١) نظرات في القرآن : ١٠٨-١٠٩.

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن : ٣.

(٣) من الدراسات القرآنية : ٢٩.

(٤) دراسات في التفسير الموضوعي في القرآن : ٦.

فالقصص أداة للاصلاح الاجتماعي ومقياس للحكم العادل وإبعاد الهوى، واثبات لبعض الأحكام الشرعية(١).

فالقرآن الكريم يكرر من الأحداث التاريخية ما يخدم الدعوة ويفتح للناس طرقاً للعبرة والعظة، كما أنه يختار من المشاهد ما يكون صالحاً لتحقيق هذه الغاية(٢).

وقد اختلفت صيغ التعبير وأساليبه في عرض القصص القرآني ما بين إيجاز وإسهاب وإجمال وتفصيل ولين وعنف، فقد عرض القرآن القصص بألفاظ متنوعة وأساليب متغايرة حتى أعجز العرب جميعاً عن الإتيان بمثل ما سمعوا يقول الباقلاني (ت٤٠٣هـ) (٣) :

إن "إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة وتتبين به البلاغة ...." . والتكرار الذي يحدث في بعض جوانب القصة القرآني يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير، بل لابد أن تعاد العبادة أكثر من مرة لكي تحمل في كل مرة بعضاً من مشخصات المشهد، وأن كل عبارة كانت تعطي صورة مقاربة للمشهد كله(٤).

وقد كرر القرآن قصص الأنبياء نوح ولوط وإبراهيم وعيسى (عليهم السلام) وغيرهم في أكثر من موضع وتناولها بالإطناب أحياناً وبالإيجاز أخرى، وتعد قصة موسى (عليه السلام) أكثر القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، فقد ورد ذكر موسى وقصته (عليه السلام) في (٣٤) سورة(٥)، "والحديث عن موسى (عليه السلام) لم يكن من زاوية واحدة كما هو شأن أكثر الأنبياء (عليهم السلام)، وكثرت الجوانب التي عرضت للحديث

---

(١) المصدر نفسه : ٨.

(٢) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه : ٧٣.

(٣) إعجاز القرآن : ٦١-٦٢.

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن : ٦٤-٦٥.

(٥) ينظرالسور: البقرة، العمران، النساء، المائدة، الانعام، الاعراف، يونس، هود، ابراهيم، الاسراء، الكهف، مريم، طه، الانبياء، الج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، السجدة،الاحزاب، الصافات، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الاحقاف، الذاريات، النجم، الصف،النازعات، الأعلى.

عنه وذلك لما في كل منها من عظات ودروس"⁽¹⁾ ومن الأقوال التي وردت في سبب تكرارها فضلاً عما تقدم، الآتي:

١. إن موسى (عليه السلام) من أولي العزم، وذو شريعة مستقلة؛ لأنه أرسل الى فئتين كانت كل منهما الى جانب من العناد والقسوة والكفر، فئة ممعنة في التكبر والطغيان متمثلة بفرعون وملئه، وأخرى استمرأت الذلة والتبعية والضعف ممثلة في بني إسرائيل. كما أن الذين أرسل إليهم كان لبعضهم آثاره الباقية الدالة على القوة والبطش وهم الفراعنة. أما البعض الآخر، وهم بنو إسرائيل فلهم مع المسلمين شؤون منذ فجر الرسالة الى يومنا هذا⁽٢⁾؛ فهم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد في المدينة والجزيرة العربية كلها، وهم من احتضن المنافقين في المدينة وأمدهم بوسائل الكيد للمسلمين وعقيدتهم⁽٣⁾.
٢. قصة موسى (عليه السلام) شبيهة بقصة محمد (ﷺ) من ناحية الدعوة؛ فكلا النبيين كانت مهمته شاقة في دك عروش الظلم وتحوير الرقاب والقلوب من الاستعباد⁽٤⁾. فكانت قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون وبني إسرائيل مليئة بالعظات التي لا يستغني عنها الرسول (ﷺ) في اقتحام العتبات وتعوده على الصبر⁽٥⁾.
٣. إن في ذكر ما كان يلقى بنو إسرائيل من عذاب في ظل فرعون وصبرهم على العذاب الطويل، تأسية للمسلمين في مكة لما كانوا يلقون من العذاب والاضطهاد من قريش، ففي ذكر قصة بني إسرائيل عزاء لهم، وأنهم ليسوا وحدهم في هذا العذاب والاضطهاد⁽٦⁾.
٤. إن بني إسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها قبل المسلمين على كتاب منزّل من عند الله ثم لم يستقيموا عليه، بل انحرفوا حتى كادوا يخرجون تماماً من ظله،

---

(١) القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته : ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٤.

(٣) في ظلال القرآن : ٢/٦٩٢-٦٩٣.

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن : ١٢٣-١٢٤.

(٥) سيكولوجية القصة في القرآن : ١٢٦.

(٦) دراسات قرآنية : ٢٥٣.

فوردت القصة تحذيراً للمؤمنين من أن ينحرفوا كما انحرف بنو إسرائيل، ويتهاونوا في كتابهم لقاء عَرَض الحياة الدنيا كما تهاونت بنو إسرائيل(١).

٥. أعاد القرآن قصة موسى أو حلقات منها بطرق شتى ووجوه مختلفة وفواصل متنوعة مع اتفاق المعنى ليعلم العرب عجزهم عن الإتيان بمثله(٢).

٦. تعد قصة موسى(عليه السلام) نمطاً لغيرها من القصص(٣) ....

والذي يهمنا في قصة موسى (عليه السلام) هو ما تكرر من التراكيب المتشابهة، التي حدث فيها اختلاف في بنائها أو في أحد عناصر تركيبها، أما لماذا ذكرت القصة في سورة مفصلة وفي أخرى موجزة، أو لماذا ذكر هذا الحدث هنا ولم يذكر هناك.؟ فهذا ما أجاب عنه الدكتور فضل حسن عباس(٤) مما لا حاجة الى إعادة ذكره هنا.

المطلب الأول

مولده ونشأته

ورد ذكر هذه المرحلة مفصلاً في سورتي طه والقصص، وقد بدأت سورة طه بقوله- عزّ وجل:] Þ ß à á â ã ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H J K L M N O P Q Z [الآيات ٣٧-٤٠].

أما في سورة القصص فقد بدأ الحديث عن هذه المرحلة بقوله تعالى :] . / 0 1 2 3 5 6 7 8 9 : ; < = > @ A B C D E F G H I J K L M O P Q R S T U V l k j i h g f e d c b a ` _ ^ \ [Z Y X W

---

(١) المصدر نفسه : ٢٥٤.

(٢) إعجاز القرآن / الباقلاني : ٢٨٨-٢٩٠. وينظر : سيكولوجية القصة في القرآن : ١٤٠.

(٣) الاعجاز اللغوي في القصة في القرآنية : ٦٧.

(٤) في كتابه "القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته" ينظر الصفحات : ٧-١٣.

~ } | { z y x w v u t s r q p n m

¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ قُصِّيهِۖ

Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸

Ë Ì Í Î Z [القصص: الآيات ٧-١٣] فوردت القصة كما نلاحظ في سورة طه موجزة وفي سورة القصص وردت أكثر تفصيلا، وذلك لأن الحديث في سورة القصص كان قبل ذلك عن استعلاء فرعون في الأرض وجعله أهلها شيعاً، فبينت السورة أن الله يريد أن يمنّ على بني اسرائيل بأن يمكّن لهم في الأرض بميلاد البطل المنقذ ليري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون(١).

ولم يرد في سورة طه ذكر لهذا التمهيد؛ وإنما ورد ذكر هذه المرحلة بشكل عارض من باب الإشارة الى المن الإلهي على موسى (عليه السلام) في أثناء مخاطبة الله سبحانه له(٢)، لذا حسن الإيجاز.

والذي يستوقفنا هنا التركيب الذي تكرر ذكره في كلتا السورتين، والذي كاد يتطابق في ألفاظه لولا الاختلاف في ذات الفعل الماضي، وذلك قوله تعالى في سورة طه : [J K L M N O P Q Z [الآية : ٤٠]، وقوله في سورة القصص :] ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Z [الآية : ١٣] فقال في الأولى [J Z وفي الثانية [¾ Z. والرجوع في اللغة هو العود الى ما كان منه البدء(٣). أما (الرد) فهو صرف الشيء بذاته او بحال من أحواله(٤). والرد عن الشيء يتضمن كراهة المردود(٥)، ولفظ الرجع ألطف(٦). وهذا ما أكده الاستعمال القرآني للفظين حيث استعمل لفظ الرد كثيراً في

---

(١) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته : ٣٠٦، دراسة نصية في القصة القرآنية : ٣٨.

(٢) دراسة نصية في القصة القرآنية : ٣٩.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن : (رجع)١٨٨.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (رد)١٩٢.

(٥) درة التنزيل : ٢٨٢، أسرار التكرار : ١٢٣ و ١٣٨.

(٦) أسرار التكرار : ١٣٨.

سياق القهر والتعنيف واثبات القدرة الإلهية(١) وكأن آل فرعون أُكرهوا على ردّه؛ لأنه قد استعصى عليهم إرضاعُه، ويلمح في الردّ المنة، فيبدو أنها قد يئست من الحصول عليه، وأحست بأنه قد ضاع منها، فردّه الله إليها. وجاء في الحديث قوله (ﷺ) حيث تعرض له الشيطان ((فرده الله خاسئا))(٢). أما رجع وما تصرف منها، فقلما يَرِد لهذا المعنى، وإن ورد فليس ككثرة ردّ(٣).

ولما كان الخطاب في سورة طه من الله لنبيه موسى (عليه السلام) مباشراً، يذكّره فيه بالمنن والنعم التي كرّمه بها ،استعمل اللفظ الأرقّ وهو (رجع).

ولو عدنا للخطاب في سورة القصص، وجدنا أنه خطاب من الله الى غير رسوله، وهو لإكراه من كان عدوا له، فاختار الفعل (رد)، هذا من وجه، أما من وجه،آخر فلاختيار لفظ (الرد) في سورة القصص دون سورة طه خصيصة تتعلق بالسياق ، وتعود الى ذكر هذا اللفظ قبل ذلك في قوله- عز من قائل:] = > @ A B Z [آية] فكأن قوله بعد ذلك] ¾ Z تصديق لقوله السابق(٤) وموافقة له(٥). وقيل بأنه(سبحانه) خص الرجع في سورة طه لتقاوم ثقل الرجع خفة فتحة الكاف، وخص الرد بسورة القصص لتقاوم خفة الرد ثقل ضمة الهاء(٦).

وهو تعليل صوتي مقبول يضاف إلى التعليلين السابقين.

---

(١) الشواهد على ذلك كثيرة مثل قوله تعالى:] I J K L M N O P Q R S T U Z [الكهف: ٨٧] وقوله] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [التوبة : ٩٤].

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٦١و١٢١٠و٣٢٨٤و٣٤٢٣و٤٨٠٨.

(٣) ملاك التأويل : ٧٨٢ - ٧٨٣.

(٤) أسرار التكرار : ١٣٨، غرائب القرآن : ١٠٨/١٦.

(٥) فتح الرحمن : ٣٩٥/٢.

(٦) المصدر نفسه : ٣٩٥/٢.

المطلب الثاني

فراره إلى مدين وزواجه

وهي قتله للقبطي وفراره إلى مدين وزواجه من ابنة شعيب (عليه السلام)، ولم تـذكر إلا مرة واحدة في سورة القصص في قوله:] - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @A B C D E F G H I J L M N O P R S T U Z [الآية ١٥]، إلى قوله] W X Y Z [\ ] ^ _ a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y { | } ~ لَغَوِيٌّ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý ß à á â ã ä å ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? A B C D E F H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i k l m n o p q r t u v w x y z { | ~ خَيۡرٖ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ µ ¶ ¸ ¹ º ¼ ½ ¾ ¿ À Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Î Ï Ð Ñ Ò Ó Õ Ö × Ø Ù Z.

ووردت في الشعراء إشارة خفيفة إلى مقتل القبطي في قوله سـبحانه :] ¬ ® ¯ ° ± ² Z [الآية ١٤]، وقوله] Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ Z [الآيـة ١٩]. وعلل عدم تكرار هذه الجزئية لأنها: ((تخلو من أيّما عظة ظاهرة، وليس فيها تثبيت

عقيدة أو صراع دعوة، كما في مراحل قصة موسى الأخرى))(١).

كما أنها ابتدأت بقتل متعمد والشروع بقتل آخر(٢). ومن المبررات غير المقبولة لدينا القول بأنها انتهت بما يشبه علاقة الحب بين موسى عليه السلام وابنة مضيّفه أدّت إلى زواجه منها. إذْ لم يكن بين موسى وابنة مضيّفه علاقة حب ولا شبه علاقة، ولكن آنست منه عفافاً ورجولةً وإحساناً وأمانة، فأخبرت أباها الشيخ الكبير، فطلب إليه أن يعمل عنده ويزوجه من ابنته مصلحة للاثنين وتوفيقاً لهما. ثم لا ينبغي للنبي ان ينشئ علاقة حب، إنما يطهره الله من جميع النزوات التي تعتري البشر العاديين.

المطلب الثالث

عودة موسى إلى مصر مع أهله

أما المرحلة الثالثة وهي عودة موسى من مدين مع أهله إلى مصر واقترانها ببدء الرسالة، فقد تكرر ذكرها مفصلاً في ثلاثة مواضع هي : في سورة طه، والقصص، والنمل.

وقد ذكرت في سورة مريم والنازعات إشارة خفيفة الى ذلك، قال سبحانه في مريم] ! " # $ % & ' Z [آية ٥٢]، وورد في النازعات قوله] Ì Í Î Ï Ð ! " # $ % & Z [الآيتان ١٥ و ١٦].

قال تعالى في سورة طه :

] } ~ حَدِيثُ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ²

³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼½¾ ¿ À Á Ã Ä Å Æ Ç ! "

# $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7

8 9 : ; < = > ? @A B C D E F G H I J K

---

(١) دراسة نصية في القصة القرآنية ٤١.

(٢) دراسة نصية في القصة القرآنية ٤١. لذا لم تذكر قصة يوسف إلا مرة واحدة في القرآن الكريم لما فيها من التشبث بالنساء.

_ ^] \ [Z Y XW V UT S R Q P ON M L

r qp o n m l k j i h g f e d c b a `

ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ (٢٣) ~ } | { z y x w v u t s

Ä Ã Â Á À ¿¾½¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ «

Û Ú ÙØ × ÖÕÔÓÒÑ Ð Ï Î Í Ì Ë ÊÉ È Ç ÆÅ

/ . - , + *) (' &%$ # " ! ã â á à ß Þ Ý Ü

E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 6 5 4 3 2 1 0

^] \ [Y X WV U T S Q P O NML K J H GF

s r q p onm l k j i h g f e d c b a ` _

¯ ® ¬ « ª© ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ يَخْشَىٰ~ } | { zy x w v u t

Å Ä Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² °

Ý Ü Û Ú Ù Ø ×Ö Õ ÔÓ ÒÑÐ Ï Î Í Ì Ë Ê È Ç Æ

& %$ # " ! ï î í ì ë ê é è ç æ å ä ã â á à ß Þ

= < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (

S R Q P O NML K J I HGF D C B A @ ? >

e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T

x w v u t s r q p o n m l k j i h g f

¯ ®¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤£ ¢ ¡ فِرْعَوْنُ ~ } | { z y

Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ± °

ÖÕ Ô ÓÑ ÐÏ Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä

7 6 5 4 3 2 1 / . - , + *) (' & %$# " ! Ø ×

P N M L K JI H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8

i hg f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U S R Q

| { z y x w v u t s r p o n m l j

Z وَأَبۡقَىٰٓ ~ }

وقال تعالى في سورة القصص:

B A @ > = < ; : 9 8 7 6 5 3 2 1 0 / . [

R Q P O M L K J I H G F E D C

g f e d c b a ` _ ^ \ [Z Y X W V U T S

z y x w v u t s r q p n m l k j i h

¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ قُصِّيهِۖ ~ } | {

Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± °

' & % $ # " ! Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å

; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *)

T S R P O N M L J I H G F E D C B A @ ? = <

l k j i h g f e d c b a _ ^] \ [Z Y X W V U

¡ لَغَوِيٌّ ~ } | { y x w v u t s r q p o n m

¼ » º ¹ ¸ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢

Ò Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½

" ! å ä ã â á à ß Ý Ü Û Ú Ù Ø × Ö Õ Ô Ó

6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $

L K J I H F E D C B A ? > = ; : 9 8 7

b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M

w v u t r q p o n m l k i h g f e d c

¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ خَيۡرَ ~ | { z y x

Ä Ã Â À ¿ ¾ ½ ¼ º ¹ ¸ ¶ µ ³ ² ± ° ¯ ®

Ú Ù Ø × Ö Õ Ó Ò Ñ Ð Ï Î Ì Ë Ê É È Ç Æ Å

5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !

G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6

] \ [Z Y X W V T S R Q P O N M L K J I H

s r q p o n m l k j i h g f e c b a ` ^

§ ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ } | { z y x v u t

½ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨

Ï Î Í Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾

0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Ò Ñ Ð

E D C B @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1

X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F

j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y

z y x w v t s r q p o n m l k

¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¡ إِلَىٰ ~ } | {

¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯

, + *) (' & % $ # " ! Æ Å Ä Ã Â Á À

.Z -

وقال تعالى في سورة النمل :

h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U [

¢ ¡ فَلَمَّا } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i

¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª ¨ § ¦ ¥ ¤ £

Ù Ø × Ö Õ Ô Ó Ò Ð Ï Î Í Ì Ë É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À

Z Þ Ý Ü Û Ú

وأول التراكيب المكررة هو قوله (سبحانه) على لسان موسى:

.Z µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ [١٠ طه

النمل ٧/ [UVW X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z.

القصص ٢٩/ [- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< Z.

هذه التراكيب الثلاثة حكاها سبحانه عن موسى (عليه السلام)، ونجد فيها الاختلافات الآتية :

١. ورد في طه والقصص (امكثوا) ولم يرد ذلك في النمل.
٢. قيل في طه والقصص (لعلى آتيكم) وفي النمل (سآتيكم).
٣. قيل في طه (بقبس) وفي القصص والنمل (بخبر).
٤. اختلاف التعقيبات في التراكيب الثلاثة.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن عن دراسة هذه التراكيب هو :

هل قال موسى هذه الأقوال الثلاثة لأهله عندما رأى النار ؟ أم قال أحدها فقط، أما الآخران فحكاية القرآن عنه ؟. وقد أجاب الدارسون لقصص القرآن عن هذا السؤال، واجتهدوا في ذلك ما وسعهم الاجتهاد ويمكن الخروج من دراساتهم بثلاثة آراء :

الأول: أن الله (سبحانه) خاطب موسى (عليه السلام) بلسان قومه ولم يخبر أنه خوطب باللغة العربية بألفاظ إذا عدل عنها الى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافاً في القرآن قادحاً فيه. فالوارد في القرآن أنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى (عليه السلام) وخاطب به قومه، فأخبر سبحانه في بعض السرد ببعض ما جرى وفي الأخرى بأكثر مما أخبر به في التي قبلها، وليس يدفع بعضه بعضا.(١) فالقرآن قد يجمل ثم يفصل، وقد يفصل ثم يجمل(٢) حسب الحاجة والسياق، وهذه طريقة القرآن الكريم في غالب قصصه. وهذا الرأي يمكن قبوله لأننا لاحظناه من خلال دراستنا لعدد من التراكيب المكررة التي مرت بنا آنفاً.

---

(١) درة التنزيل٢٩٣،ملاك التأويل ٨١٠.

(٢) أسرار التكرار ١٣٨.

الثاني: أن واحداً من هذه الأقوال الثلاثة صرّح به موسى (عليه السلام)، أما الأخر فكان يجري في خاطره(١). وإذا قبلنا هذا الرأي سيلح علينا سؤال آخر،وهو بأي الأقوال الثلاثة صرح، وأيها جرى في خاطره؟ فضلاً عن أن هذا التأويل بعيد لا تحتمله النصوص الثلاثة لوجود لفظة (القول)، كما لا يوجد ما يسوغ حمل النص على غير ظاهره.

الثالث: أن موسى (عليه السلام) قال الأقوال كلها ليوطن نفسية أهله(٢) معبراً عن فرحته بأساليب مختلفة "كأن القولة الأولى لم تنقع غلته فيقول الثانية، لكنه يجد أنه ما زالت في النفس بقية من شعور فيكرر نفسه مرة أخرى"(٣).

وهذا الرأي مقبول لدينا؛ لأنه يعبر عن حالة إنسان وجد الأمل بعد فقدان طويل، فالمفاجئة قد تدفعه الى أن يطيل الكلام ويكرر، أو أن يذكر شيئاً ويناجي نفسه بأحاديث وأشياء أخرى.

نعود الى الاختلافات التي حدثت في الأقوال الثلاثة وتفسيراتها :

١. أمّا قوله: (امكثوا) في سورتي طه والقصص دون سورة النمل فقد يكون مما فهمه أهل موسى (عليه السلام) منه بإشارة أو قرينة أو حال، أو يكون قد أمرهم بذلك بلغتهم التي لم يحكها القرآن فيكون قد حكى مرة "معنى نطقه أو مراده وبما قد فهم عنه أهله الأمر، ومرة اكتفى بما بعد هذا الأمر اقتصارا على ما يحصل به المقصود، فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك"(٤).

٢. قوله: (لعلي آتيكم) بحرف الترجي في سورتي طه والقصص، و (سآتيكم) بحرف الاستقبال في النمل. و (لعل) تفيد معنى الاستقبال لكن مع زيادة الترجي والطمع، فهما متقاربان في المعنى إلا أن في السين تيقّناً لا يوجد في (لعل)، فالتسويف متيقن الوقوع بخلاف لعل(٥)، فيكون أحدهما ترجياً والآخر تيقناً(٦).

---

(١) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ٦١ و ٢٣٥.

(٢) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ٣٠٢.

(٣) السرد القصصي في القرآن ٤٢.

(٤) ملاك التأويل ٨١٠.

(٥) التسهيل في علوم التنزيل ٩٣/٣.

(٦) الكشاف ٣٤٩/٣.تفسيرا لنسفي ٤٣٢/٣.

فيكون ما في سورتي القصص وطه مقولة لموسى (عليه السلام) وهو غير متيقن من وجود ضالته، أما عندما تيقن فقال: (سآتيكم) بالسين. وهذا يؤكد الرأي الذي يقول : إن موسى قال أكثر من مقولة. وربما يكون الحرفان بمعنى واحد في اللسان غير العربي، فحكى القرآن الحرفين "ليحرز ذلك وقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم"(١).

ونحن مع الرأي الأول ، لأن القرآن دقيق في تعبيره ولا يمكن أن يضع في الحرفين المختلفين لفظاً معنى واحداً.

٣. قوله :] ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ Z في طه، وقوله :] 3 4 5 6 7 8 9 : Z في القصص ، وفي النمل:] \ [^ _ ` a b Z، وقوله :] ± ² ³ ´ µ Z يعني هادياً، يخبرني بالطريق فيهديني إليه(٢). أو بعبارة أخرى، الخبر الذي يأتيهم به هو أن يجد على النار ما يهديه ويخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره(٣)، أي أن قوله (أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) يساوي الخبر في قوله: (بِخَبَرٍ).

وهذا ما يؤكد أن القصة محكية على معناها لضرورة اختلاف اللغتين(٤).

٤. قوله في طه: (بقبس)، وفي القصص: (جذوة من النار)، وفي النمل: (شهاب قبس).

ويمكن أن نحمل هذا التنوع في استعمال المفردات في التراكيب الثلاثة على نفس المحمل السابق من الاتساع في التعبير، على اعتبار أن القصة محكية على معناها، لأن القبس والجذوة والشهاب من القبس، تعبر عن معنى واحد تقريباً، فالقبس النار المقتبسة في رأس عمود أو فتيلة(٥)، والشهاب شعلة نار ساطعة(٦)، والجذوة : القبس(٧)، أو الجذوة الذي

---

(١) ملاك التأويل ٨١١.

(٢) أسرا التكرار ١٣٨، والجامع لأحكام القرآن ١٧٢/١١، الكشاف ٥٣/٣.

(٣) درة التنزيل ٢٩٣.

(٤) ملاك التأويل ٨١١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (قبس)٣٩٠، لسان العرب (قبس)٤٨/٨.

(٦) مفردات ألفاظ القران (شهب)٢٦٧، لسان العرب (شهب)٤٩١/١.

(٧) لسان العرب (قبس) ٤٨/٨.

الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب(١). وكل هذه المعاني تتفق في معنى واحد هو ما يتناول من الشعلة؛ لكن في دلالة التركيب (شهاب قبس) قوة وجدتها الإضافة، فيأتى بها لتتناسب مع التيقن الذي حصل عنده في قوله (سآتيكم) ... فهو أتى به بعد تيقنه من وجود النار.

٥. تكرار (آتيكم) في سورة النمل دون أختيها. وقد قيل في هذا التكرار: إنه للتأكيد، وفائدته صدق(٢). ونحن نرى أن السين في آتيكم الأولى والتي معناها التيقن دفعت لهذه الإعادة، أي أن موسى (عليه السلام) كان متيقناً من أنه سيأتيهم بأحد اثنين، إما بخبر، أو بشهاب قبس، فهو متيقن من أنه إن لم يظفر بهما جميعاً فسيظفر بأحدهما ثقة بالله عز وجل.

٦. أما عن الإفصاح في سورتي النمل والقصص دون طه بالحاجة إلى النار وهو الاصطلاء، أي: إيقاد النار؛ فهو زيادة لا يعارضها شيء مما في طه ؛لأن أهله لم يكن بهم حاجة لغير الاصطلاء واستعلام طريقهم، ففصل في السورتين ما هو مفهوم في طه، كما فسر قبل ذلك (خبر) بقوله في طه :] ± ² ³ ´ µ Z ((مفصحا بالمقصود مفسرا لما هو مفهوم في آيتي النمل والقصص)) (٣).

كما أن انتهاء (تصطلون) بالنون جاء موافقاً للفواصل في سورتي النمل والقصص، فقد اكتنف الواقع في آي هذه القصة الفواصل المنتهية بالنون مسبوقة بأحد الحرفين الياء أو الواو الساكنتين. أما فواصل آيات سورة طه، فقد لزمت الألف المقصورة.

فعبر في كل سورة بما يتناسب وفواصلها ليكتمل الإعجاز لغوياً وصوتياً.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (جذو)٩٠.

(٢) ملاك التأويل٨١٢.

(٣) ملاك التأويل ٨١٢.

المبحث الثاني

بدأ الرسالة

طــه /] ¸ ¹ º » ¼½¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç ! "
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 Z.

النمل /] f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y
z Z.

القصص /] > ? @ A B C D E F G H I J K L
M N O P Z.

الاختلاف الوحيد الذي يمكن أن نلمسه في هذه التراكيب الثلاثة هو في الفعلين الماضيين، حيث استعمل القرآن في طه والقصص الفعل (أتى) ، وفي النمل الفعل (جاء).

والإتيان في اللغة : المجيء[1]، لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة[2]. والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول.

وعند دراسة سياق السور الثلاث نجد : أن التشابه بين سورتي طه والقصص في ذكر قصة موسى أكثر مما بينهما والنمل، فقد اتفقتا في ذكر قصة موسى بشكل أكثر تفصيلا عما هو عليه في النمل ،كما إتفقتا في كثير من التراكيب – التي مر جزء منها آنفاً – فيعدّ هذا الموضع اتفاقاً آخر يضاف الى ما سبق. ويدفعنا هذا الى الاستنتاج الآتي :

تَفرُّدُ سورة النمل بأسلوبها وافتراقها عن أختيها في بعض المفردات، ربما يعود الى أنها بنيت على الإيجاز في ذكر قصة موسى، لذا استعمل القرآن ما يدل على المرحلة المتقدمة للحدث، وذلك باستعمال السين التي تدل على التيقن، وتكرر لفظ (آتيكم) زيادة في

---

(١) لسان العرب (أتى)١٨/١٤.

(٢) قال الراغب: المجيء كالإتيان لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول، ويقال جاء في الأعيان والمعاني. ينظر :مفردات ألفاظ القران (جاء) ١٠٣-١٠٤.

التيقن، وهنا استعمل (جاء) التي تدل على الحصول. فضلاً عن أن الفعل (أتى) ورد في موضعين في الآية التي سبقت موضع الشاهد(١)، فلم يذكره هنا دفعاً للتكرار(٢) وإحرازاً للتنوع في الأسلوب.

أما باقي التراكيب فلا نجد فيها تكرارا يدعو الى الدراسة، فنحن نقف مع من يرى أن الأقوال الثلاثة هي أقوال متكاملة حيث "لا منافاة بين هذه الآيات لأنه (تعالى) ذكر الكلّ إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء(٣)، فلو جمعنا هذه الأقوال في سياق واحد لخرجت لنا قصة متكاملة، وقد حاولنا جمعها فخرج لدينا الآتي :

فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن بورك من في النار ومن حولها سبحان الله رب العالمين يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفسٍ بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى. يا موسى إني أنا الله العزيز الحكيم.

نلاحظ أن القصة تكتمل ولا نكاد نجد فيها شيئا مكررا. أما الجمل المؤكدة] ') (Z فهو تكرار مقصود، فائدته التأكيد، يدعو إليه المقام والموقف "الذي اهتز له موسى من أقطاره فكان صوت الحق (سبحانه) بهذه النداءات المتكررة سكنا لقلب موسى ومساكا لنفسه وقد كادت تذهب شعاعا !" (٤).

طــه / [XW V UT S R Q P ONM L K J I

l k ¦ i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y

.Z m

النمل / [| } فَلَمَّا ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³

.Z ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´

---

(١) هو قوله تعالى [WVU X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z [آية ٧].

(٢) غرائب القرآن ٨٧/١٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٤٥/٢٤، وينظر : سيكولوجية القصة في القرآن ١٤٥.

(٤) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ٦٣.

القصص /] R S T V W X Y Z [\ ] ^ ` a b c e f g Z.

هذه التراكيب جميعها تحدثنا عن مرحلة واحدة وهي بداية مخاطبة الله سبحانه لموسى (عليه السلام) قبل تكليفه بالرسالة، ويمكن القول في هذه التراكيب ما قلناه في سابقتها من أنها بجمعها تكون صورة متكاملة لخطاب الله (سبحانه) لموسى (عليه السلام) ففي كل تركيب تجد جزئية لم تذكر في التركيب الآخر.

والشيء الوحيد الذي يدعو للوقوف عنده، هو مسألة انقلاب العصا؛ هل قلبت الى حية؟ أو الى جان ؟ أو الى حية جان ؟ وما المسوغ لاستعمال لفظتي (حية) و (جان) ؟.

قال في طه :] a b c d Z، وقال في النمل] فَلَمَّا ¡ ¢ £ ¤ ¥ ...Z.

وقد أضاف المفسرون(١) الوصف الثالث وهو قوله] ¥ ¦ § ¨ © ª Z [الأعراف الاية ١٠٧والشعراء الاية ٣٢] فذكروا الوصف (ثعبان). ولا نرى مسوغاً لهذه الإضافة؛ لأن الوصفين الأولين ذكرا في سياق الحديث عن مخاطبته(سبحانه) لموسى، أما الوصف الثالث فذكر عند وقوف موسى (عليه السلام) بين يدي فرعون وملئه، فالموقف غير الموقف، فهم يضعوننا أمام مأزق وهو كيف قال (حية) مرة وقال (ثعبان) ثانية و(جان) ثالثة، والجان هو الدقيق من الحيات(٢)، أما الثعبان : فهو الضخم من الحيات(٣). والحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير من الحيات(٤). فيجوز أن يكون (سبحانه وتعالى) قلب العصا في البداية الى حية صغيرة سريعة الحركة لأن هذه كانت الآية الأولى التي تظهر لموسى (عليه السلام) للمرة الأولى، فقلبها الى حية صغيرة لئلا يفزع، فموسى (عليه السلام) مهما بلغ، فهو بشر له عقل ككل البشر وأحاسيس كأحاسيسهم، فلو قلبها (سبحانه) الى ثعبان مبين، فربما أحدث منظرها فزعاً

---

(١) الكشاف ٥٨/٣، تفسير النسفي ١٨٩/٣، الجامع لأحكام القرآن١٦٠/١٣، غرائب القرآن ٩٠/١٦.

(٢) لسان العرب (جنن)٢٥٠/١٦.

(٣) لسان العرب (ثعب)٢٢٩/١.

(٤) المعروف عند جمهور المفسرين أن الحية المقلوبة عن عصا موسى (عليه السلام) كانت في كل الأحوال بحجم العصا، ولذلك خرّ سحرة فرعون سجداً في حين لقفت حبالهم وعصيهم دون أن يتغير حجمها أو يمتلىء بطنها.

في نفس موسى (عليه السلام)، فمهد له في البداية بقلب العصا إلى حية صغيرة خفيفة الحركة. ومع هذا فقد خاف موسى (عليه السلام)، وهرب مذعورا فناداه ربه (سبحانه) وهدأ روعه. ولكن عندما ذهب إلى فرعون وملئه قلب (سبحانه) العصا إلى ثعبان كبير؛ لأن موسى (عليه السلام) كان على علم مسبق بانقلابها هذا أولا، ولأن المجلس كان فيه جمع كبير من السحرة، فضلا عن فرعون الطاغية فتحقق بقلبها إلى ثعبان كبير معجزة أذهلت الحضور، اطمأن له قلب موسى (عليه السلام)، وفزع منها فرعون وملؤه، ثانيا.

وحتى لو ذكرت الأوصاف الثلاثة في وقت واحد فلا يكون هناك تعارض. فقد يعبر مرة بالحية وأخرى بالثعبان؛ لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير من الحيات_كما ذكرنا آنفا، فقد تكون العصا قلبت إلى حية كبيرة سريعة الحركة كالجان، أي أنها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان(١)، لذا وصفها بالسعي(٢) وهو المشي بسرعة(٣) وخفة حركة.

هذا إذا فسرنا لفظ (الجان) على ما يقابل الإنسان لا بصغار الحيات، وهو ما حاول تأكيده الدكتور فضل حسن عباس(٤) من خلال تتبع ورود لفظ (الجان) في القرآن الكريم.

وهو تعليل مقبول فقد يكون (سبحانه) قلبها حية في بداية الأمر، ولم يصرح بجمعها، ولها حركة كحركة الجان في الخفة وهذا مما يزيد في بعث الخوف والرهبة وهو أن تكون حية كبيرة جدا عظيمة الحجم، وفي الوقت نفسه خفيفة الحركة سريعتها، فتكون بهذا معجزة واضحة لأن الحية الصغيرة معلوم بأن حركتها تكون أخف من غيرها الأكبر حجماً.

أما عند مقابلة موسى (عليه السلام) لفرعون، فقد صرح القرآن بحجم الحية حين قال (ثعبان)، وهنا لا يكون أي تنافٍ في الظاهر ولا في التحقيق.

---

(١) الكشاف ٥٨/٣، غرائب القرآن ٩٠/١٦، التفسير الكبير ١٣١/٢٤.

(٢) غرائب القرآن ٩٠/١٦ .

(٣) مفردات ألفاظ القران : (سعى) ٢٣٣.

(٤) القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته :٣٠٤.

وقيل ربما كانت في وقت انقلابها حية ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعباناً، فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها(١).

وقد ربط أحد الباحثين (٢) هذا التغير بالحالة النفسية لموسى (عليه السلام) بقوله : (..وموسى ذو الانفعال الشديد يمكن أن يضخم له الصغير، ويحرك له الساكن أو المتحرك حركة بطيئة، وهذا الأمر معهود فيمن تتوتر أعصابهم ، كما كانت أعصاب موسى متوترة...).

وهذا تفسير بعيد فبين الحية الصغيرة والثعبان المبين فرق كبير، إذ يعدان وصفين متقابلين من ناحية الحجم، فليس من المنطقي أن نرى شيئين متقابلين في وقت واحد، فقد تبدو الحية الصغيرة أكبر من حجمها قليلا في حالة الاضطراب، ولا يمكن أن يرى منها الوجه المضاد. فقد يرى الأسود رماديا أو الأحمر بنياً، ولا يمكن أن يرى الأسود أبيضاً أو بالعكس. كما أن اختلاف الرؤية بالنسبة لغير موسى (عليه السلام) جائز لحصول الاضطراب والقلق ولكن بالنسبة لموسى (عليه السلام) غير جائز، لأنه في وقت امتحان، والله سبحانه يؤيد نبيه بالثبات واليقين ليكتمل حصول المعجزة.

وما بقي من التراكيب الثلاثة لا يدخل في دائرة التكرار وإنما يمكن جمعها لتشكل لنا صورة متكاملة على النحو الآتي :

وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب قال يا موسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. لا تخف إنك من الآمنين إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم وبدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم.

ويكون إعادة نداء الله لموسى (عليه السلام) ونهيه عن الخوف للتأكيد والتخفيف من روع موسى (عليه السلام) لأمرين، الأول: لأنه كان خائفا من هول ما رأى من أمر انقلاب العصا أولاً ، والثاني : لإحساسه بالذنب وهو بين يدي ربه من قتله القبطي الذي

---

(١) الكشاف: ٥٨/٣. البحر المحيط: ٢٣٥/٦. التفسير الكبير :١٣١/٢٤-١٣٢.

(٢) طراونة في: دراسة نصية في القصة القرآنية ٤٤.

عرّض له (سبحانه وتعالى) بقولــه :] ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ Z. فطمأنــه سبحانه بأنه يقبل توبته ويغفر له زلته ويرحمه.

طه /] o p q r s t u v w x y z { | } ~ Z.

النمل /] Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ë Ì Í Î Ï Ð Ò Ó Ô Õ Z.

القصص /] i j k l m n o p q r s t u v x y z { | } وَمَلَإِيْهِۦٓ ¡ ¢ £ ¤ Z.

وقع الاختلاف هنا في فعل الأمر (اسلكْ) و (ادخلْ)، وفي اللفظين (جناح) و(جيــب)، وزيادة قوله (تعالى) في القصص دون أختيها :] r s t Z. وقد فسّر الســلك بالإدخال⁽¹⁾ هنا وهو أصل معناه اللغوي⁽²⁾.

والسلك في اللغة معناه الإدخال، ولكنه ذكر (اسلك) في القصص و(أدخلْ) في النمــل؛ لأن المبالغة في (أدخل) أكثر منها في (اسلك)؛ لأن(سلك) لازم ومتعد، وفــي القصــص قال:] x y Z، وفي النمل قال]Ë Ì Í Z ، وكان أبلغ في العدد فناسب الأبلغ في اللفظ⁽³⁾.

كما أن مادة (دخل) بمشتقاتها وردت في النمل في أكثر من موقع حتــى بلغــت (٥) مرات، في حين لم ترد في القصص سوى مرة واحدة.

أما معنى] o p q r Z بمعنى (أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) لأنه إذا أدخل يده في جيبه كان قد ضم يده الى جناحه⁽⁴⁾، فعبر عن الجنب بالجناح⁽⁵⁾.

والقرآن يختار للإبط والذراع صورة الجناح لما فيها من رفرفة وطلاقة وخفة⁽⁶⁾.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٢/٢، التفسير الكبير ٢٤٧/٢٤.

(٢) لسان العرب (سلك)٣٢٧/١٢.

(٣) غرائب القرآن ٨٨/١٩ .

(٤) التفسير الكبير ٣٠/٢٢.

(٥) الجامع لأحكام القران ١٩١/١١. وجناحا الإنسان : جنباه، مجاز أبي عبيدة ١٧/١، الكشاف ٥٩/٣.

(٦) في ظلال القرآن ٤٦٩/٥.

المبحث الثالث

المطلب الأول

موسى وفرعون وملؤه

يعدّ خبر موسى (عليه السلام) مع فرعون وملئه من أكثر المقاطع التي تردد ذكرها في السور كلها، فقد وردت الإشارة إليه بصورة موجزة في مواضع من القرآن، وبشكل مفصل في مواضع أخرى منه؛ وذلك لأهمية هذا الحدث في دعوة موسى (عليه السلام) ودعوة محمد (ﷺ) " فكان معادلاً موضوعياً لعناد كفار قريش (المتفرعنين) أمام دعوة الرسول"(١).

وتعدّ سور : الأعراف، وطه، والشعراء، والقصص، ويونس، وغافر من أبرز السور التي نقلت هذا الحدث مفصلاً، وقد عرضت هذه السور هذا الخبر بأساليب متنوعة. وسنتناول فقط التراكيب التي لمحنا فيها التكرار.

١- ونبدأ بما حكاه سبحانه من قول موسى (عليه السلام) لما أمره بالذهاب الى فرعون، وقد ورد هذا الخبر في سور ثلاث هي : طه والقصص والشعراء.

طـه /] § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼
½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ
Ö Z [الآيات ٢٥-٣٥].

الشعراء /] { | } ~ أَن ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª «
¬ ® ¯ ° ± ² Z [الآيات ١٢-١٤].

القصص /] ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶
¸ ¹ º » ½ ¾ ¿ À Z [الآيات ٣٣-٣٤].

فنجد في هذه التراكيب اتحاد مضمون أقوال موسى (عليه السلام) من طلب العون من الله بأن يشد عضده بأخيه هارون، ويطمئن قلبه الخائف من جراء الذنب الذي ارتكبه بقتل القبطي.

---

(١) دراسة نصّية في القصة القرآنية ٤٥.

أما ما بقي من التراكيب، فهو عبارة عن تفصيل وإيضاح في موضع، وإيجاز في موضع آخر حسب ما يقتضيه سياق السور الثلاث، وما بنيت عليه السور من تنوع في الفواصل، وهو إثبات للإعجاز القرآني.

١. فلو أخذنا قوله تعالى :] § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° Z [طه ٢٥ و ٢٦] وهو طلب موسى الأمان من الله (سبحانه) وتعالى أي : وفّر لي الأمان وسهّل أمري حتى أستطيع أداء الرسالة. وهذا هو معنى قوله في القصص :] } | { ~ أَن ¡ ¢ £ ¤ Z [الآية ٣٣]. فإذا أمن من القتل، فقد حصل مطلوبه وأدى ما طلب منه⁽¹⁾.

٢. قوله في طه] « ¼½¾¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö Z [الآيات٢٩-٣٥] هو معنى قوله في الشعراء:] ¨ © ª ...Z [الاية١٣] وقوله في القصص] ± ² ³ ´ ...Z [الاية٣٤] وقد صرح بذكر الوزير في طه "لأنها الأولى في الذكر، وكنى عنه في الشعراء بقوله : (فأرسل) أي أرسل الى هارون ليأتيني فيكون لي وزيرا، وفي القصص كنى عنه بـ (ردءً) أي: اجعله وزيراً"⁽²⁾، فإذا كان المعنى معلوما طرح منه ما يرد الكلام الى الإيجاز⁽³⁾.

فنلاحظ أنه (سبحانه) ذكر في سورة جزئية لم تذكر في الأخرى وهذا ليس من الاختلاف الذي يؤدي الى تعارض أو إشكال أو توهم.

ثانياً-قوله تعالى في

طه /] ¡ ¢ £ ¤ ¥ Z.

والشعراء/] p q r s t u v x y Z.

القصص /] x y z { | } وَمَلَإِيْهِۦٓ ¡ ¢ £ ¤ Z.

فذكر في الأولى فرعون وحده وفي الثانية اقتصرعلى ذكر قوم فرعون، وفي الثالثة

---

(١) درة التنزيل ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) أسرار التكرار ١٤٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٢.

ذكر الاثنين : فرعون والملأ.

فقيل : إنه عندما ذكر فرعون وحده، فكأن قومه مذكورون معه لأنهم تبع له(١)، وفي الثانية كأنه ذكر مع قومه؛ لأنه منهم ومخاطب بمثل خطابهم، فاذا اتقوا وآمنوا كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم، وهو في هذه الحالة يعدّ كالتابع لهم، أما الثالثة ،فبينت بذكرها لفرعون وملئه ما انطوت عليه الآيات السابقة من ذكر بعض والاكتفاء به عن بعض(٢). وليوافق قوله :] x y Z في التعدد(٣).

وقال سبحانه في سورة طه /] ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Z (الاية٤٧)، اما في سورة الشعراء فقال: /] ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Z. (الايتان١٦و١٧)

١. ذكر الضمير بدل الاسم في طه، وصرّح بالاسم (فرعون) في الشعراء. وذلك لتقدم ذكره في قوله تعالى :] r s t u v Z [الآية ٤٣] فلم تكن هناك حاجة لإعادة اسمه ظاهرا لقربه واتصاله بأداة العطف الفاء، وما بين الآيتين (٤٤ و ٤٧) جملة اعتراضية، فالأمر بالذهاب هنا مكرر.

أما في الشعراء فكان هذا الأمر هو الأول المذكور في قصة فرعون مصرحاً باسم الشخص الذي أمرهم بالذهاب إليه. كما أن اسم فرعون لم يصرح به منفردا قبل هذا الموضع من قصة موسى.

٢. ثنى لفظ الرسول (رسولا) في الأولى وأفرده في الثانية، وفي هذا أكثر من تعليل.

التعليل الأول : أن لفظ (الرسول) مصدر بمعنى الرسالة، مجاز، التسوية فيه بين الواحد والتثنية والجمع كما نفعل بالصفة بالمصادر(٤)، والتقدير : أنّا ذوو رسالة رب العالمين(٥) فحيث وحد حمل على المصدر وحيث ثني حمل على الاسم(٦).

---

(١) درة التنزيل ٢٩٥، غرائب القرآن ٨٩/١٩.

(٢) درة التنزيل ٢٩٥.

(٣) فتح الرحمن ٣٩٠/٢.

(٤) الكشاف ٣٠٤/٣، الجامع لأحكام القران ١٣-٩٣، البحر المحيط ٨/٧. التفسير الكبير ١٢٤/٢٤.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٨٥/٤، الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١٣، غرائب القرآن ٥٢/١٩.

(٦) أسرار التكرار ١٤٠.

التعليل الثاني: قيل إن تثنية الرسول هي اللغة الشهيرة أما إفراده فعلى لغة من يقول إن رسول للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث(١)، واستشهد بقول أبي ذؤيب الهذلي(٢)

أَلِكْنِي إليها وخيرُ الرسو ل أعلمهمْ بنواحي الخَبَرْ

فيكون الاستعمال الأول على اللغة الشهيرة، والثاني على اللغة الأخرى(٣). وكلا التعليلين يمكن إعادته إلى التنوع في الاستعمال القرآني، كما حدث في كثير من المواضع في قصة موسى (عليه السلام) إثباتاً للإعجاز القرآني.

التعليل الثالث : يجوز التوحيد لكونهما ذوي شريعة واحدة ولتساندهما واتفاقهما واتحادهما فكأنهما رسول واحد(٤).

التعليل الرابع : حمل هذا التعليل على ما مر آنفاً في ذكر لفظ فرعون دون ملئه أو العكس، فقيل ذكر (رسول) بالإفراد لأن هارون تابع لموسى وداخل في حكمه(٥).

التعليل الخامس: قيل المراد كل واحد منّا رسول(٦).

وهذه كلها تعليلات مقبولة تثبت إعجاز القرآن وعجز البشر أمامه تعبيراً وأسلوباً.

سبب تخصيص آية طه بالتثنية هو ما نسق بناء القصة في هذه السورة ؛فقد بنيت على التثنية في أكثر من موضع(٧). فناسبها تثنية (رسول) في هذا الموضع أيضاً.

أما آية (الشعراء)، فقد كان الحديث عن قصة موسى مبنياً على الوحدة(٨) فناسبها إفراد الرسالة(٩)، وهو الرأي الراجح .

---

(١) الصحاح(رسل) ١٧٠٩/٤، لسان العرب (رسل)٢٩٩/١٣.

(٢) ديوان الهذليين ١٤٦ وهو من شواهد لسان العرب، والكشاف.

(٣) ملاك التأويل ٨٢١.

(٤) الكشاف ٣٠٥/٣، البحر المحيط ٨/٧، التفسير الكبير ١٢٤/٢٤، غرائب القرآن ٥٢/١٩.

(٥) درة التنزيل ا ٢٩٥.

(٦) الكشاف ٣٠٥/٣، التفسير الكبير ١٢٤/٢٤، غرائب القرآن ٥٢/١٩.

(٧) ينظر الآيات ٤٢-٤٧.

(٨) ينظر الآيات ١٢-١٨.

(٩) المفردة في القرآن، فاضل السامرائي مخطوط نقلاً عن دراسة المتشابه اللفظي في آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل ٥٦.

٣. قوله (ربك) في الأولى و (رب العالمين) في الثانية.

في إضافة (رب) إلى كاف الخطاب إشعار بنوع من التلطف الرباني(١)، وليس فيها ما ما في إضافة (رب) إلى العالمين التي تشعر بالقهر، فالله مالك الكل والكل تحت سيطرته وفي قبضته. والسبب في هذا الاختيار يرجع الى أن سورة (طه) مبنية على التأنيس والتلطف من لدن افتتاحها بقوله تعالى:] G H I J K Z، [الآية : ٢] الى ختامها بقوله لنبيه (عليه السلام) :] § ¨ © ª « ¬ Z [الآية : ١٣٢]. ونجد التلطف في الموضع الذي أمر الله به موسى وهارون (عليهما السلام) بمخاطبة فرعون وإبلاغه رسالتهما حيث قال سبحانه :] x y z { Z [الآية٤٤] التي تشعر بالرفق والتلطف، فناسب هنا ذكر العبادة التي تشعر بالمعنى نفسه. أما سورة (الشعراء) فاشتملت على عبادات التعنيف لفرعون وإغراقهم وأخذ المكذبين للرسل بتكذيبهم. فلم يقصد فيها ما تقدم من التلطف، فأضاف الرب الى رب العالمين(٢) إثباتاً لقدرته سبحانه وسيطرته.

٤. قال في طه: (فأَرْسِلْ) بفاء التعقيب، وفي الشعراء قال: (أنْ أَرْسِلْ) بـ (أن) المصدرية الناصبة للتعليل(٣)، والتقدير : أرسلنا لترسلَ، أي : لأنْ ترسلَ معنا بني بني إسرائيل(٤).

وربما كان السبب يعود إلى السياق، فسياق سورة (الشعراء) بني على هذا الأسلوب، أي: استعمال (أن + الفعل ماضياً أو مضارعاً) كقوله سبحانه:] p q r s Z [آية ١٠] وقوله تعالى:] ~ أَن ¡ Z [الآية : ١٢] وقوله] ° ± ² Z [آية : ١٤].

فناسب السياق ما قبله، كما نرى أن سياق التركيب في سورة طه قد بني على تعقيب الجمل باستعمال الفاء، نجد ذلك في قوله (فَقُولَا لَهُ) [آية : ٤٤]، وقوله (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) [الآية ٤٩] فناسب السياق بعضه.

---

(١) في ذلك أيضاً قوله (سبحانه) في الأنعام:] I J K L M Z [الاية ١١٢]، وقوله في السورة نفسها:] ° ± ² ³ ´ Z [الآية ١٣٧]؛ فكانت الأولى في موضع تأنيس، والثانية لغير ما وردت له الأولى. وينظر : ملاك التأويل ٤٧٠.

(٢) ملاك التأويل ٨١٨ و ٨٢٢.

(٣) معاني النحو : ٣/١٤٨-١٤٩ و ٣٢٦-٣٣٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨٥/٤، إعراب القرآن للنحاس ٢٨٤/٢.

المطلب الثاني

خبره مع فرعون والسحرة

ورد هذا الخبر مفصلا في (الأعراف وطه والشعراء)، ونجد في هذه السور تراكيبَ تطابقت تماماً عند تكرارها في السور الثلاث أو في اثنتين منها، كما في قوله تعالى:] A B C D E F G H I J K L M Z [الأعراف ١٠٧ و ١٠٨ والشعراء ٣٢،٣٣] ولم ترد هذه الجزئية في(طه). وبدأ الاختلاف يظهر في التركيبات المتكررة بعد هذه الآيات، وذلك في التراكيب التي وردت على لسان فرعون وملئه بعد أن رأوا برهان الله.

الأعراف /] O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m Z. [الآيات ١٠٩-١١١]

الشعراء /] ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Z. [الآيات ٣٤-٣٧]

ففي هذين التركيبين أربعة اختلافات :

١. قال في الأعراف] O P Q R S Z ناسباً القول لملأ فرعون وفي الشعراء نسبه لفرعون قال :] ´ µ ¶ Z، مع أن الجواب يشير إلى أن القول هو قول فرعون للملأ يطلب المشورة فأجابه قومه] Æ Ç ...Z.

وقيل في تفسير هذا الاختلاف: قد يكون فرعون قال هذا القول هو ووافقوه عليه ثم رددوه ونقلوه إلى غيرهم(١)، فحكى في سورة قول فرعون، وفي أخرى قول ملئه.

وقيل :الملأ مشتمل على فرعون فيكون قوله (قَالَ الْمَلَأُ) مشتملاً على فرعون(١).

---

(١) درة ١٦٨التنزيل -١٦٩، البحر المحيط ٣٥٨/٤، تفسير ابن كثير ٢٣٧/٢، تفسير النسفي ١٣٤/٢ التسهيل في علوم التنزيل ٤١/٢.

٢. ذكر التقييد (بسحره) في الشعراء دون الأعراف :

ولما كان القول في (الأعراف) مسندا إلى الملأ، وفي (الشعراء) مسندا إلى فرعون أظهر التقييد (بسحره) مع قول فرعون؛ لأن الملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون في الحنق على موسى وإبطال ما أورده(٢) فأكد بقوله (بسحره) ليقوي تنفيرهم عنه حتى لا يقبلوا قول موسى (عليه موسى)، ويصغوا لقوله هو ويثبتوا على مذهبه(٣). هذا من وجه ومن وجه آخر فإن التركيب في سورة الأعراف بني على الاختصار والإيجاز فناسبه الحذف(٤).

٣. قوله في الأعراف (وأرسلْ) وفي الشعراء (وابعثْ) ولو عدنا إلى اللغة لوجدنا أن لفظ (البعث) أقوى دلالة من الإرسال، فهو يتضمن الإرسال وعنصراً آخر وهو الإثارة والتوجيه والتهييج(٥). يقال بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار(٦). أما الإرسال فهو انبعاث على التؤدة(٧)، يقال ناقة رِسْلة، أي : سهلة السير(٨)، ونلمح فيه تارة الرفق(٩)، كما في قولنا على رسلك(١٠).

كما أننا تتبعنا الاستعمال القرآني فوجدنا أن البعث أكثر ما يستعمل في مواضع التهديد والوعيد(١١)، لذا أطلق سبحانه على يوم القيامة اسم يوم البعث(١)، ولم يقل يوم

---

(١) درة التنزيل ١٦٨،أسرار التكرار ٨٨.

(٢) درة التنزيل ١٦٩.

(٣) البحر المحيط ١٥/٧.

(٤) البحر المحيط ٣٥٩/٤.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (بعث)٥٢.

(٦) لسان العرب (بعث).

(٧) مفردات ألفاظ القران (رسل)١٩٥.

(٨) مفردات ألفاظ القرأن (رسل) ١٩٥، لسان العرب (رسل)٢٩٩/١٣.

(٩) مفردات ألفاظ القرأن (رسل) ١٩٥، لسان العرب (رسل)٢٩٩/١٣.

(١٠) مفردات ألفاظ القرأن (رسل) ١٩٥.

(١١) ينظر على سبيل المثال السور: الأنعام : ٣٦، ٦٥، الأعراف ١٦٧، الحج ٥ ،٧، الجن ٧، المجادلة ٦، التغابن ٧، النمل ٢١.

الإرسال.فلماأسند القول إلى فرعون في آية (الشعراء)، وبناء على ما قررنا في الفقرة الثانية في أن فرعون أكثر حنقاً من الملأ على موسى (عليه السلام)، فأورد القرآن في تركيب (الشعراء) كل ما يدل على القوة في التحدي من قوة الألفاظ كما حدث هنا وكما سيأتي في (سحّار) وزيادة فيها، كما حدث في زيادة (سحرة) ليصبح تركيب سورة الشعراء متسقاً من بدايته حتى نهايته. كما أن فعل الإرسال تردد ذكره في (الأعراف(٢))، حيث بلغ (١٢) مرة، قي حين لم يرد في (الشعراء) إلا في موضعين(٣) فقط.

٤. قال في الأعراف: (ساحر) وفي الشعراء: (سحّار)، ومعلوم أن صيغة (فعّال) فيها من المبالغة والكثرة(٤) ما ليس في (فاعل).

وورودها في الشعراء يتناسب مع التحدي الذي بني عليه التركيب، فلما كان التحدي أبلغ، جاؤوا بالبناء الذي للمبالغة لينفّسوا عن فرعون بعض ما لحقه من الكرب(٥).

كما أن لفظ السحر ذكر في الأعراف (٧) مرات وفي الشعراء (١٠) مرات(٦)، فأصبح التأكيد على السحر في الشعراء أكثر، لذا بالغ في الوصف.

وقيل أن (سحّار) مرادف لـ (ساحر) في الاستعمال؛ لأن صيغة (فعّال) هنا لنسب دلالة على الصناعة مثل النجار والقصّار(٧). فصاحب الصنعة مداوم لصنعته فيجعل له البناء الدال على التكثير(٨)، ولذلك اتبع هنا بوصف (عليم) أي قوي العلم(٩).

---

(١) كقوله تعالى:] v w x y z { | } Z وقال:] فَهَـٰذَا ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ Z [الروم:٥٦].

(٢) التعبير القرآني ٢٩٢، وينظر: الاستبدال النحوي ١٢٨.

(٣) استثنينا في الإحصاء لفظ (الرسول) لأن التركيز عندنا كان على الفعل أو ما يعطي معناه كإسم الفاعل لذا ورد إحصاؤنا غير مطابق لما أورده السامرائي.

(٤) المقتضب ١٦١/٣، وينظر: معاني الأبنية في العربية ١٠٧ومابعدها.

(٥) التفسير الكبير ١٣١/٢٤، البحر المحيط ١٥/٧ وينظر وجوه الاستبدال النحوي ١٢٨.

(٦) ينظر التعبير القرآني ٢٩٣، والاستبدال النحوي ١٢٨.

(٧) شرح المفصل ١٣/٦، التحرير والتنوير ١٢٤/١٩، وينظروجوه الاستبدال النحوي ١٢٧.

(٨) المخصص ٦٩/١٥، الاستبدال النحوي ١٢٧.

(٩) التحرير والتنوير ١٢٤/١٩.

ويعضّد هذا الرأي قراءة من قرأ[1] (سحّار) في الأعراف، و(ساحر) في الشعراء بحمل أحد اللفظين على الآخر.

وهذا الرأي لا ينفي حقيقة كون (سحّار) للمبالغة، فإن لم يكن في معناها، فهو مجسد في مبناها، فعدد حروفها أكثر من عدد حروف ساحر ...

الأعراف /] o p q r s t u v w x y z { | وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ Z.

الشعراء /] (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z.

١. وصل التركيب بما قبله في الأعراف بالواو وفي الشعراء وصله بأداة التعقيب (الفاء). والسبب أن سورة الشعراء بنيت على التعقيب بين جملها في عرض قصة موسى كما في قوله] ¨ © ª Z [الآية ١٣] وقوله سبحانه] ° ± ² Z [الآية : ١٤] و] ¸ ¹ ' « ¼ ½ Z [الآية ١٥]] ¿ À Á Z [الآية : ١٦] وهكذا.

٢. قال في الشعراء (وجاء السحرة فرعون قالوا....) وفي الشعراء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون)، ولايوجد تنافٍ بين القولين لأن تقدير ما في (الأعراف): فلما جاء السحرة فرعون قالوا لفرعون. فحذف (لما) اختصارا لما بنيت عليه السورة[2]، وأظهر فرعون في الأولى؛ لأنها الأسبق، وأضمره في الثانية لأنها التالية[3].

٣. قال في الأعراف: (إِنَّ لَنَا) بهمزة واحدة على الخبر، وفي الشعراء: (أَئِنَّ لَنَا) بهمزتين على الاستفهام.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. ينظر: إتحاف الفضلاء٢٢٨ ، إعراب النحاس١/٦٣٠البحر المحيط٤/٣٦٠.

(٢) درة التنزيل ١٧٢، أسرار التكرار ٨٩.

(٣) أسرار التكرار ٨٩.

ولما كان المقام في الشعراء مقام إطالة ومبالغة في المحاجة والتحدي، جيء بهمزة الاستفهام لتشرك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به(١)، فمعنى (إن لنا) بغير استفهام، كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر(٢)، لأنك ممن يبرّنا ويحبّنا، وقريء (أإن) بهمزة الاستفهام في (الأعراف)(٣)، حملاً على ما في (الشعراء).

٤. ذكر (إذا) في (الشعراء) دون (الأعراف): وعدم ذكرها يتناسب مع ما بنيت عليه سورة (الأعراف) من الاختصار، و(الشعراء) من التفصيل وزيادة التحدي وتوكيده(٤). و(إذا) حرف جزاء وجواب(٥) وذكرها يدل على أن ما بعدها مشروط حصوله بحصول ما قبلها(٦).

كما أن هذه الأداة (إذا) وردت في قصة موسى (عليه السلام) في السورة نفسها في قوله:] ! " # $ % & Z [الآية ٢٠] فناسب السياق ما قبله.

الأعراف /] ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « Z.

طه /] ! " # $ % & ' ( ) * + Z.

ولم ترد هذه الجزئية في (الشعراء).

والاختلاف في قوله على لسان السحرة في الأعراف (نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) وفي طه قالوا (نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى). من الناحية الشكلية نجد بأن القرآن راعى الفواصل في السورتين(٧)؛ فالغالب في فاصلة (الاعراف) النون، فأتى بـ (الملقين) مراعاة للفاصلة فيها.

---

(١) التعبير القرآني ٢٩٥.

(٢) الكشاف ١٣٩/٢، إعراب النحاس ٤٨٧/٢.

(٣) وهي قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن كثير، وأبو عمر، وعلى هذه القراءة ينتفي الاختلاف، ينظر : إتحاف الفضلاء ٢٢٧، إملاء مامنّ به الرحمن١/١٦١-١٦٢، كشف الظنون ٤٦٨/١.

(٤) التعبير القرآني ٢٩٤.

(٥) الكتاب ٣١٢/٢، مغني اللبيب ٩٦/١-٩٧، وينظر معاني النحو ٣٣٦/٣.

(٦) معاني النحو ٣٣٦/٣.

(٧) درة التنزيل ١٧٣-١٧٤، أسرار التكرار ٨٩-٩٠، ملاك التأويل ٤٦٩، وينظروجوه الاستبدال النحوي ٢٠١.

أما (طه)، فقد غلب على فواصلها الألف المقصورة، فأتى بـ (ألقى) مراعاة لما قبلها وما بعدها.

أما من الناحية المعنوية؛ فلا نجد فرقاً بين التعبيرين؛ فالقرآن أراد أن يصور نفسية هؤلاء السحرة، التي يملؤها التفاؤل والأمل في نصرهم المؤزر العاجل⁽¹⁾، للحصول على ما ينتظرهم من مكافأة مجزية؛ فعبر عنه بشكلين مختلفين يؤكد رغبتهم في الإلقاء أولاً. والدليل على هذا الكلام أنه أتى في (الأعراف) بضمير الفصل المؤكد، وعرف الخبر ليخبر عن هذه الرغبة⁽²⁾.

وما يؤكد هذه الرغبة تخييرهم لموسى (عليه السلام) بين أن يبدأ أو يبدأوا هم، فنحن نقف مع أبي حيان في أن هذا التخيير لم يكن من باب الأدب كما ذهب بعض المفسرين⁽³⁾، وإنما كان ذلك من باب "الادلال لما يعلمونه من السحر وايهام الغلبة والثقة بأنفسهم وعدم الاكتراث والابتهال بأمر موسى"⁽⁴⁾. فالقوي عادةً لا يتورع عن المبادرة الأولى في أي سياق يثبت فيه كفاءته ثقةً بنفسه⁽⁵⁾.

وقد ذهب الدكتور عبدالكريم الخطيب⁽⁶⁾ إلى أن هذين قولان لا قول واحد، وقد كرر السحرة القول الثاني على موسى (عليه السلام) بعد أن أجابهم على القول الأول بصوت خافت مضطرب لا يكاد يبين، لذا جاءت إجابته في الثاني (بل ألقوا) تأكيداً للقول الأول.

وهي من وجهة نظر لا يمكن رفضها أو الأخذ بها ؛لأننا لا نعلم كيف كان الموقف حينها، فالقرآن ذكر لنا القصة وترك لعقول المخاطبين العنان للتأمل وإيجاد المسوغات والعلل لما يجدونه مختلفاً في بعض المواقف. وهنا يكمن سر إعجاز القرآن في هذه التكرارات المعجزة.

---

(١) من بلاغة القرآن ٦٢ وينظر الاستبدال النحوي ٢٠٢.

(٢) الكشاف ١٤٠/٢، التفسير الكبير ٢٠٣/١٤، البحر المحيط ٣٦١/٤، غرائب القرآن ٢١/٩.

(٣) مثل الزمخشري في الكشاف ١٣٩/٢ ،والرازي في التفسير الكبير ٢٠٣/١٤.

(٤) البحر المحيط ٣٦١/٤.

(٥) الاستبدال النحوي ٢٠٢.

(٦) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ٢٦٧.

الأعراف /] ® ¯ ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º
» ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï
Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Z [الآيات : ١١٦-١٢٠].

طـــه /] - . / 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >
? @ A B C D E F G H I J K L M N P Q R S U V
W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z [الآيات : ٦٦-٧٠].

الشعراء /] = > ? @ A B C D E F G H I J K L
M N O P Q R S T U V W X Y Z Z [الآيات : ٤٣-
٤٦].

ولا نستطيع القول في هذه التراكيب سوى ما قلناه سابقاً من أن هذه التراكيب عبارة عن جزئيات يكمل بعضها بعضاً، فقد عرض القرآن في كل سورة جزئية لم يتعرض لها في سورة أخرى، مع المحافظة على روحية الحدث والموقف، ولو حاولنا تجميع الأجزاء في التراكيب الثلاثة لخرجت لدينا صورة كاملة للحدث :

قال لهم موسى بل ألقوا ما أنتم ملقون . فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا نحن الغالبون . فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم . فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك . ألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين.

ويظهر لنا أن الجزئية الوحيدة التي تكررت في التراكيب الثلاث هي تسليم السحرة وإيمانهم بالله بعد رؤية الدلائل الواضحة التي تجسدت في قوله تعالى :

وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا
سَاجِدِ

ونعود إلى الاختلافات التي ظهرت لنا في الجزئيات الثلاث :

١. قال في طه والشعراء:]] \ Z بفاء التعقيب، وفي الأعراف] Ö × Z بالواو والتي تفيد الجمع لا الترتيب – كما بينا - .

والسبب في اختيار الأداتين هو ما بنيت عليه التراكيب في السور الثلاث. فسجود السحرة وقع مباشرة بعد أن رأوا برهان ربهم، أي : بعد أن لقفت الحية (عصا موسى) ما صنعوا. فوردت في السورتين (طه والشعراء) على الأصل ؛ لأن قوله:] P Q R S U V W X Y Z جملتان اعتراضيتان.

أما في سورة (الأعراف)، فقد أشار (سبحانه) بعد قوله:] Æ Ç È Z الى انقلابهم صاغرين وآخر قوله الذي يشير الى إلقاء السحرة ساجدين، فجيء بالواو التي لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً،لأنه لا يعلم "كم من الوقت بين انقلابهم صاغرين وسجودهم"(١).

٢. قال في الأعراف والشعراء (ساجدين) بجمع اسم الفاعل جمع مذكر سالم، وفي طه قال (سجدوا).

٣. الأعراف والشعراء /] ! " # $ % & ' (Z.

طه/] ^ _ ` a b Z

١. ذكر التركيب الإضافي (رَبِّ الْعَالَمِينَ) في (الأعراف والشعراء) دون (طه)، وقد يكون التعليل لهذه الإضافة شكلياً لا علاقة له بالمعنى؛ ((لأنه ما كان الكلام يتم به آية كما تم في السورتين، فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التي بنيت عليها فواصل سورة طه)) (٢).

٢. تقديم موسى على هارون في (الأعراف والشعراء) وتأخيره في (طه).

وللتقديم والتأخير تعليلان شكلي يتعلق بالفاصلة وبناء الآية من جهة وآخر معنوي.

فأما الشكلي فلمراعاة الفاصلة في السور الثلاث، فقد بنيت سورتا (الأعراف والشعراء) على الياء والنون، أو الواو والنون، لذا قدم موسى على هارون، أما سورة

---

(١) التعبير القرآني ٢٩٦.

(٢) درة التنزيل ١٧٥.

(طه) فأغلب ما بنيت عليه فواصلها الألف في قصة موسى كما بينا؛ فقدم هارون على موسى اتساقاً للفواصل.

وعلى هذا لا يكون التقديم هنا لغرض التفضيل، أي: تفضيل هارون على موسى – كما يفهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كتقديم السماء على الأرض، والمؤمن على الكافر وهكذا(١)، فذكر موسى متأخرا في الفاصلة لا يغفل أفضليته على هارون إن كان ثمة مفاضلة؛ لأن مقاطع الكلام في الثانية والفاصلة والسجع من نقاط الارتكاز في الكلام من جهة وآخر ما يقع في السمع والنفس من جهة ثانية(٢).

أما الناحية المعنوية، فقد تكرر ذكر (هارون) في سورة (طه) كثيراً(٣)، وقد جعله الله شريكا لموسى في تبليغ رسالته، في حين لم يرد في سورة (الشعراء) إلا قليلا(٤) هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر سبحانه في سورة (طه) خوف موسى بقوله:] ; > = < ? Z [الآية : ٦٧] ولم يذكر حالة الخوف هذه في (الشعراء)(٥). كل هذا استدعى تقديم هارون على موسى في سورة (طه).

وقيل قد يكون (سبحانه) نقل لنا قولين لا قولا واحدا عن السحرة، الأول قدموا فيه موسى على هارون لفضله عليه بالرسالة وكلام الله (تعالى). وفي الثاني قدموا هارون اعتبارا بكبر سنه(٦).

أو قد يكون بعض السحرة قدم موسى لما ذكرنا، والبعض الآخر قدم هارون لأنه أكثر فصاحة وبيانا من موسى، فقدموه إقرارا منهم بالتسليم والإيمان لهارون فضلاً عن موسى(٧).

---

(١) ينظر التقابل الدلالي:تنظر على سبيل المثال الصفحات:٣٤، ٤٥، ٥٥، ٥٩، ٦٣........

(٢) الفاصلة في القرآن، الحسناوي ١٢٠.

(٣) ينظر الآيات ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٦٣، فقد كان الخطاب في هذا الآيات عن موسى وهارون، وينظر: الآيتان ٩٠، ٩٢.

(٤) ينظر: الآيتان ١٣ و ١٥ في حين أن الخطاب في الآيتين٢٩ ،٣٤ ، عن موسى فقط دون هارون.

(٥) التعبير القرآني ١٩٩-٢٠٠.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦٢/١٦.

(٧) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ٢٧٠، وإعجاز القرآن ٢٢٠/٢ للخطيب، وينظر : الفاصلة في القرآن ١٢٠.

وعلى هذا يكون القول صادراً عن فئتين لا فئة واحدة. وهذه كلها تعليلات يحتملها الموقف، فالحشد كبير، والنفوس مضطربة من هول المفاجأة.

الأعـراف ١٢٤ /] * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9
: ; = > ? @ A B C D E F G Z .

طـه ٧١ /] d e f g h i j l m n o p r s t u
v w x y z { | } ~ وَأَبْقَىٰ Z .

الشعراء ٤٩ /] e f g h i j k m n o p q r s u
v w x y z { Z.

١. صرح باسم الفاعل (فرعون) في (الأعراف) وأضمره في (طه) و(الشعراء). وذلك لأن سورة (الأعراف) لم يرد فيها تصريح باسم فرعون من قوله تعالى:] o p q Z [الآية : ١١٣] الى الآية موضع الشاهد؛ فصرح باسمه هنا لبعد ذكره، خلاف ما في السورتين حيث ورد ذكره خلال المحاورة التي جرت بين موسى وخصومه في طه في قوله] ~ فِرْعَوْنُ ¡ ¢ Z [الآية : ٦٠] وهي قريبة من موضع الشاهد، وكذلك في (الشعراء) فقد قرب ذكره من موضع الشاهد(١) حيث ورد في قولـه:] (* + , - Z [آية : ٤١] . وقد يكون السبب في إضماره في (طه والشعراء) هو التصريح بذكره في الأعراف وهي الأولى في الذكر، فاستغنى عنه عندما تكرر ذكر القصة لأنه أصبح مفهوماً بأن القول له.

٢. قال في الأعراف: (آمنتم به) باستعمال حرف الجر الباء، وفي (طه والشعراء) استعمل اللام (آمنتم له).

وقيل في تفسير هذا الاستعمال؛ إن الضمير في (الأعراف) يعود الى الله أي : (آمنتم بالله؟) لقول السحرة:] " # $ Z. أما في السورتين الأخرتين، فإن الضمير عائد إلى موسى لقول فرعون بعد ذلك] m n o p Z(٢) فاستعمل الباء مع الله؛ لأنها

---

(١) درة التنزيل ١٧٥-١٧٦، ملاك التأويل ٥٧٠-٥٧١.

(٢) درة التنزيل ١٧٦، أسرار التكرار ٩٠-٩٠، ملاك التأويل ٥٧٢، فتح الرحمن ٤٨٥/١.

تعطي معنى التصديق، فهي أخصّ من اللام التي تعطي معنى الانقياد والإذعان(١)، فيكون المعنى : آمنتم بالله وانقدتم لموسى في دعائه إياكم.

والتصديق والانقياد معنيان يحتاج إليهما مع الإيمان. فقدم الأخص ثم أعقبه باللام(٢).

وقد تكون اللام بمعنى التعليل(٣)، أي: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى(٤). فاستعمل ما هو أوقع في النفس وأدل على التعلق والتصديق بالرسل في (طه والشعراء)(٥)؛ لأن عرض القرآن للتحدي في (الشعراء) كان أقوى، وهذا ما أشرنا إليه في أكثر من موضع، ولا يمكن أن تكون اللام والباء بمعنى واحد كما نقل عن بعضهم(٦)، وقد أكدنا هذا أكثر من مرة؛ فالقرآن لا يستعمل حرفين بمعنى واحد هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا ندري على أي الحرفين نحمل الآخر، فإذا حملناها على الباء، وهي عائدة، كما أوضحنا على الله (تعالى) فسيحدث لبس فيما بعد، لأن الجملة التالية :] **m n o p** Z ستعود عليه- حاشاه- وهذا محال.

٣. قال في الأعراف :] **= >** Z، وفي الشعراء:] **r s** Z.

واللام هنا للحال، والجمع بينها وبين (سوف) التي للاستقبال إنما هو لتعريف زمان الحال وتحقيق وقوع الفعل(٧)، وذلك مناسب لما ذكرنا من بناء سورة (الشعراء)على التفصيل في ذكر غضب فرعون وشده حنقه على موسى (عليه السلام).

أما سقوط حرف التسويف في (طه) فلوجود ما يعوض عنه وهو اللام والنون المؤكدة في قوله: (وَلَتَعْلَمُنَّ). وعلى هذا يكون القرآن قد راعى التدرج في زيادة التأكيد فالوعيد الواقع في أكد من الذي في والذي من أكد من الذي في .

---

(١) ملاك التأويل ٥٧٢.

(٢) ملاك التأويل ٥٧٢.

(٣) وهو أحد معانيها، الجني الرأي : ١٤٤، مغني اللبيب : ٢٧٥-٢٧٦، وينظر : التعبير القرآني ٢٩٦، ووجوه الاستبدال النحوي : ٥٩.

(٤) درة التنزيل ١٧٧.

(٥) الإعجاز اللغوي في قصص القرآن ٣٣٩.

(٦) نقل هذا الرأي الكرماني في أ سرار التكرار ٩١، و في فتح الرحمن ٤٨٦/١، وقال به النسفي في تفسيره ٢٠٢/٣.

(٧) درة التنزيل ١٧٨، ملاك التأويل ٥٧٣.

٤. قال في الأعراف والشعراء: (لأقطعن)، وفي طه (فلأقطعن) بالفاء.

والسبب في هذا واضح. وهو أنه (سبحانه) ذكرها قبل ذلك في السورتين في قوله (فسوف، فلسوف) تعلمون. وعندما أسقط حرف التسويف في (طه) ألصق الفاء بالفعل (لأقطعن).

٥. عطف الصلب على التقطيع في(الأعراف) بـ (ثم) وفي الأخريين (بالواو). و(ثم) تفيد التراخي، و(الفاء) تفيد الجمع، كما سبق أن بينا.

والسبب في اختيار الأداتين في السورتين يعود إلى ما بنيت عليه سورة (الشعراء) من التفصيل في ذكر غضب موسى وشدة المواجهة والتحدي.

الأعراف /] I J K L M Z.

الشعراء /] { ~ضَيْرَۖ ¢ £ ¤ ¥ Z.

فذكر (سبحانه) في (الشعراء) لفظة (ضير) زيادة على ما في (الأعراف). وذكرُها في (الشعراء) يتناسب مع التفصيل الوارد في مقدمة موسى من جهة، وليناسب هذا الرد مقام التهديد الشديد والوعيد الذي وقع لهم من فرعون في قوله: (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) فأجابوا بهذا القول (لا ضير) حتى يبينوا عدم اكتراثهم بالتهديد الكبير، وهذا يدل على أنهم أقل رهبة واكتراثاً بالتهديد الأدنى (١). كما أنه سبحانه أورد في (الشعراء) قولهم] H I J Z [الآية: ٤٤]، فكان جوابهم فيها كالمقابل لما ذكروه. أي لا ضرر ولا خوف من فرعون، إذ العزة لله جميعاً، وذلك لما وضح لهم الحق ولم يقع في الأعراف من قولهم مثل الواقع هنا(٢).

أما ما حدث لفرعون وجنده بعد ذلك وما نالهم من عقاب الله حين نبذهم في اليم، فلم نجد فيها من التراكيب المكررة ما يدعو للدراسة؛ لأن القرآن أورد تفصيلاتها موزعة على غالبية السور التي وردت فيها قصة موسى (عليه السلام).

---

(١) التعبير القرآني ٢٩٧.

(٢) ملاك التأويل ٥٧٦.

المبحث الرابع

موسى وبنو إسرائيل

ورد خبر موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل في سور : البقرة، والمائدة، والأعراف، وإبراهيم، و طه، والصف.

وما يهمنا هو التراكيب التي استوقفتنا من خلال تكرارها، وطريقة عرضها للخبر في كل سورة. وأول تركيب يستوقفنا هو قوله (تعالى) لبني إسرائيل مذكراً إياهم بما مَنَّ عليهم.

البقرة ٤٩ /] ! " # $ % & ' ( ) * +
, . / 0 1 2 3 Z.

الأعراف ١٤١ /] P Q R S T U V W Y Z
[\ ^ _ ` a b c Z.

إبراهيم ٦ /] (* + , - . / 0 1 2
3 4 6 7 8 9 : ; Z.

وفي هذه التراكيب ثلاثة اختلافات :

١. قال في البقرة: (نَجَّيْنَاكُمْ) بالتضعيف، وفي الأعراف وإبراهيم قال: (أَنْجَيْنَاكُمْ) بهمزة التعدية. ومعلوم أن من معاني التضعيف التكثير(١).

ولما ورد التركيب في (البقرة) في سياق تعداد النعم التي أنعمها الله على البشر عامة، وعلى بني إسرائيل خاصة، فقد ذكّرهم (سبحانه) بإيجادهم من العدم وتسخير الأرض والسماء لخدمتهم. وبدأ هذا الخطاب بقوله تعالى:] l m n o p q Z [الآية : ٢١] ثم ذكر ما خصّ به بني إسرائيل بقوله] µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ Z [الآية ٤٧]، فذكر نجاتهم من آل فرعون، وفرق البحر بهم ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق، ثم ذكر عفوه عنهم في عبادة العجل وتوبته عليهم، وما الى ذلك من النعم التي

---

(١) الممتع في التصريف ١/١٨٥ و ١٨٩.

ورد تعدادها في هذه السورة، لهذا ذكر (نجّى) بالتضعيف الدال على الكثرة لينبىء عن شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر(١).

وقد قرئ ما في البقرة (أَنْجَيْنَاكُمْ) بالهمزة،(٢) وقرئ في الأعراف :(نَجَّيْنَاكُمْ) بالتضعيف(٣) وبهاتين القراءتين ينتفي الاختلاف بين التركيبين.

٢. قال في البقرة وإبراهيم (يذبّحون)، وفي الأعراف (يقتّلون).

والقتل إزالة الروح عن الجسد،(٤) إما بضرب أو حجر أو سمّ أو علّة(٥)، أما الذبح فهو قطع الحلقوم من باطن عند النَّصل(٦). فهو منبىء عن القتل وصفته، فقد يكون القتل بالذبح أو بأي طريقة أخرى. فذكر في(البقرة) أنهم يقتّلون، ثم وضح طريقته في(الأعراف) وهي الذبح، فأصبح الذبح في السورة التالية توضيحاً لطريقة القتل التي وردت في السورة التي سبقتها، أي : يقتّلونهم ذبحاً. كما أن الآية في (الأعراف) سبقها قوله (تعالى) على لسان فرعون مهددا ومتوعدا:] p q r s t u v Z [الآية : ١٢٧]، فبنى اللاحق على السابق ليتطابق القول(٧).

قال في إبراهيم: (ويذبحون)، وفي البقرة والأعراف بدونها: (يذبّحون)، فعلى هذا يكون ما في (البقرة والأعراف) تفسيراً للعذاب وتوضيحا ًله، أي: بدلاً من قوله:] & ' (Z(٨)،أو على الاستئناف وكأن قد قيل: وما ذلك ، فقيل: يذبّحون أبناؤكم(١).

---

(١) ملاك التأويل ١٩٨-١٩٩.

(٢)الكشاف ١٣٧/١،التفسير الكبير٦٧/٣،معجم القراءات ٤٩/١.

(٣) معجم القراءات ١٤١/٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرأن (قتل)٣٩٣.

(٥) لسان العرب (قتل)٦٤/١٤.

(٦) لسان العرب (ذبح)٢٦١/٤.

(٧) البرهان ١٢٠/١.

(٨) معاني الفراء ٦٩/٢، درة التنزيل ١٣، إعراب النحاس ١٧٩/٢، أسرار التكرار ٢٧، ت القرطبي ٣٨٤/١، مسائل الرازي وأجوبتها ١٥٨٠، التسهيل ٤٧/١ و ١٣٨/٢، تفسير أبي السعود ٨٠/١، روح المعاني ٢١١/١، التحرير والتنوير ١٩١/١٣-١٩٢، أضواء على متشابهات القرآن ٥٦/١،

أما في (إبراهيم) – بإثبات الواو على العطف – فهو جنس آخر من العذاب، وليس تفسيرا لما قبله(٢)؛ لأن العطف تقتضي المغايرة والتعداد. أي : يعذّبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضا. فالتذبيح نوع آخر من العذاب(٣)، وعطفه من عطف الخاص على العام، ولكنه افرد اهتماماً بشأنه(٤).

ولما كان ما في (البقرة والأعراف) من كلام الله (سبحانه) فلم يرد تعداد المحن عليهم(٥) تكريماً في الخطاب(٦).

أما ما في (إبراهيم) فهو من كلام موسى (عليه السلام)، فقد أمره (سبحانه) بتعداد النعم على بني إسرائيل في قوله عز وجل] ¨ © ª Z [الآية : ٥]، وكلها أوقات عقوبات(٧). فأشار بقوله] & ') Z إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم(٨)، وأتى بالعاطف بعدها ليؤذن بأن إسامتهم العذاب مغاير لتذبيح الأبناء وسبي النساء، فعدّد امتحانهم تعديدا يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنّة(٩).

الوحدة الموضوعية في القرآن ٣٣٠، إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤٤٧/٣، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٣٣١.

(١) ملاك التأويل ٢٠٠، البحر المحيط ١٩٤/١، روح المعاني ٢١١/١.

(٢) ملاك التأويل ١٩٨-١٩٩.

(٣) التفسير الكبير ٨٥/١٩، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/١.

(٤) التحرير والتنوير ١٩٢/١٣.

(٥) أسرار التكرار ٢٧، غرائب القرآن ٢٨٣/١.

(٦) معترك الأقران ٨٨/١.

(٧) درة التنزيل ١٤، أسرار التكرار ٢٧، فتح الرحمن ٣٣/١، روح المعاني ٢١١/١، البرهان ١١٦/١، الاعجاز اللغوي ٣٣١.

(٨) ملاك التأويل ٢٠١.

(٩) البرهان ١٢٠/١.

وقيل يحتمل أن تكون الواو زائدة بدليل ما ورد في سورة (البقرة والأعراف)[1]. وهو تأويل ضعيف لأنه لا زيادة في القران، وان وجدت فهي لغرض التوكيد. أو يكون أراد بالذبح سوء العذاب، لكنه عطف لاختلاف اللفظة[2]. وعلى هذين الرأيين يكون الاختلاف في النظم هو نوعاً من التفنن في إعادة القصة. وهذا لا ينطبق مع ما وجدناه من خلال إعادة القرآن للتراكيب؛ فهو في كل مرة يضيف عليها دلالة جديدة من خلال اختلاف بسيط في النظم، كما أن مثل هذا النوع من العطف (عطف العام على الخاص) قد ورد في القرآن الكريم كثيراً كما في قوله:] **m n o p q r s t** Z [البقرة : ٩٨]، فخص (سبحانه نَغْفِرْ) جبريل وميكال إعلاماً بمكانهما. وقوله سبحانه :] **" # $** Z [الرحمن: ٦٨].

البقرة ٥٨ ، ٥٩ /] **! " # $ % & ' ( ) * + , -**
. / 0 1 2 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?
@ A B C D E F G H Z.

الأعراف ١٦١ ، ١٦٢ /] **S T U V W X Y Z [**
] ^ _ ` a b c d f g h i
j k l m n o p q r s t u v w x
y Z

نجد في هذه التراكيب :

١. قال في البقرة (وَإِذْ قُلْنَا) مستعملاً الخطاب المباشر، وفي الأعراف قال : (واذا قيل لهم) حكاية بحذف الفاعل (البناء للمجهول).

وما في البقرة جاء مراعاة للسياق في خطاب بني اسرائيل، إذ ورد قبلها قوله تعالى] **! "** Z [الآية : ٤٩] وقوله:] **5 6 7 8 9 : ; < =**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١، واستشهد بقول الشاعر :

* فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى *

* إلى الملك القوم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم. أراد الملك العزم ابن الهمام ليث الكتيبة.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل ٤٧/١.

> Z [الآية : ٥٠]، وقوله] @ A B Z [الآية :١٥] فجاء التركيب في معرض تعداد ذكر النعم على بني إسرائيل فناسب نسبة القول إليه تعالى⁽¹⁾.

أما ما في (الأعراف) فهو خطاب موجه إلى أهل مكة، والحكاية فيه عن بني إسرائيل حكاية عن غائب، والأصل أن يذكر ضميرهم، لذلك قال (لهم) ⁽²⁾، وحذف الفاعل للعلم به وهو الله⁽³⁾، إذ لم يبق في قوله إيهام بعد تقديم التصريح به في (البقرة)⁽⁴⁾. كما أن التركيب ورد في معرض توبيخ الله لهم لقولهم :] / 0 1 2 3 4 Z [الآية : ١٣٨]، ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)⁽⁵⁾، ولم يقل في البقرة (لكم) لأن القول كان لاجداد المخاطبين لا لهم أنفسهم⁽⁶⁾.

٢. قال في البقرة (ادخلوا) وفي الأعراف (اسكنوا).

والدخول مقدم على السكون ولابد منهما⁽⁷⁾. فالقولان قيلا لهم، أي : قيل لهم ادخلوا واسكنوها⁽⁸⁾، فأمروا في البقرة بمبدأ الشيء لأنها متقدمة، وفي (الأعراف) بما تسبب عنه؛ عنه؛ لأنها متأخرة⁽⁹⁾. ففرق ذلك على القصتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص استجدادا لنشاط السامع⁽¹⁰⁾.

٣. عطف في (البقرة) بفاء التعقيب (فكلوا) وفي (الأعراف) بالواو (وكلوا).

---

(١) المعترك ٨٨/١.

(٢) تفسير المنار ٣٧١/٩.

(٣) البحر المحيط ٤٠٨/٤.

(٤) التفسير الكبير ٩٢/٣.

(٥) المعترك ٨٨/١.

(٦) تفسير المنار ٣٧١/٩.

(٧) التفسير الكبير ٩٢/٣، غرائب القرآن ٢٩٥/١.

(٨) التحرير والتنوير ١٤٤/٩.

(٩) البحر المحيط ٤٠٨/٤.

(١٠) التحرير والتنوير ١٤٤/٩.

وقد بني هذا الاختيار على ما سبق من ورود فعلي الدخول والسكن، لأن الأكل لا يكون إلا بعد الدخول(١). ولا يكون قبله بوجه ولا معه لتعدد ذلك، وإنما يكون مرتبا عليه(٢)، والدخول حالة منقضية زائلة ليس لها استمرار،

---

(١) ملاك التأويل ٢٠٤، تفسير المنار ٣٧١/٩.

(٢) ملاك التأويل ٢٠٤، الإتقان ١٦٧.

فيعقبه الأكل(١) كأكل الفواكه والثمرات التي كانت موجودة في كل ناحية من القرية(٢)، فمن يدخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا(٣).

أما السكن، فهو المقام مع طول اللبث(٤)، فهو حالة مستمرة(٥) والأكل حاصلٌ معه لا عقبه أو مرتب عليه، فالسكنى تجامع الأكل، لذا عطف هنا بالواو التي تفيد الجمع بين الأمرين(٦) في زمن واحد وهو أحد محاملها(٧).

كما أن التركيب في البقرة سيق مساق التوبيخ – كما أسلفنا – فكان عطف الجملة بفاء التعقيب أدل على المنة، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية. أما في الأعراف فقد سبقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل(٨).

٤. قال في البقرة (رغدا) ولم يذكرها في (الأعراف).

ومعنى (الرغد) : الكثير الواسع الهنيء(٩)؛ فلما اسند (سبحانه) القول الى ذاته في البقرة ذكر (رغدا) ليدل على الإنعام الأجسم(١٠)، والكرم والجود. وزيادة المنّة أدخل في نتقوية التوبيخ الذي سبقت له آية (البقرة)(١١).

كما أن الأكل عقيب الدخول يكون ألذ، لأن الحاجة إليه أكمل، إذ الأمر لدى الداخل مجهول(١٢)، ولما كان ذلك الأكل ألذ، ذكر فيه قوله :(رغدا).

---

(١) أسرار التكرار ٢٨، التفسير الكبير ٣٥/١٥، البحر المحيط ٤٠٨/٤، فتح الرحمن ٣٤/١، تفسير المنار ٣٧١/٩.

(٢) المنار ٣٧١/٩.

(٣) درة التنزيل ١١.

(٤) درة التنزيل ١١.

(٥) أسرار التكرار ٢٨.

(٦) التفسير الكبير ٣٥/١٥، المعترك ٨٨/١، فتح الرحمن ٣٤/١، المنار ٣٧١/٩.

(٧) البحر المحيط ٤٠٨/٤.

(٨) التحرير والتنوير ١٤٥/٩.

(٩) مفردات ألفاظ القرأن (رغد)١٩٨ ، لسان العرب (رغد)١٦٠/٤.

(١٠) درة التنزيل ١٦،أ أسرار التكرار ٢٨، المعترك ٨٨/١.

(١١) التحرير والتنوير ١٤٦/٩.

(١٢) التفسير الكبير ٣٥/١٥، البحر المحيط ٤٠٨/٤، تفسير المنار ٣٧١/٩.

أما الأكل حالة سكون القرية والاستقرار فيها، فالظاهر أنه لا يكون في محل الحاجة الشديدة ما لم تكن اللذة فيه متكاملة، فنرى قوله (رغدا) فيه(١).

٥. تقديم قوله] + , - Z على قوله] . / Z في(البقرة). وعكس الحال في (الأعراف).

وذلك لأن ما ذكر في (البقرة) هو بيان لكيفية الدخول المذكور قبله(٢) فناسب الأمر بالدخول للقرية الأمر بدخول بابها على هيئة الخضوع؛ ولأن دخول القرية لا يمكن إلا بدخول بابها، فصار باب القرية كأنه بدل من القرية أعيد معه العامل بخلاف الأمر بالسكنى(٣)، هذا أولاً.

وثانياً: أن دخول الباب سجّداً، وقولهم (حطة)- وهي كلمة دعاء، بأن تحط عنهم أوزارهم – كان المقصود بهما تعظيم الله (تعالى) وإظهار الخضوع والخشوع له، فلما كان هذا المقصود من الدخول والقول لم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير(٤).

فقدم وأخّر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده(٥)، وهذا ما يفهم من الواو التي لا تقتضي ترتيبا، وإنما قصد طلب الأمرين مطلقاً. فلو ورد في السورتين على حد سواء في تقديم أحد الأمرين على الآخر، لأوهم ذلك بأن المقدم في الذكر أرجح أو أهمّ، فكان الاختلاف دالاً على عدم الفرق بين تقديم هذا وتأخير ذلك وبين عكسه(٦).

وربما كان تقديم قوله] + , - Z في (البقرة) لورود القول مسندا إلى الله (تعالى)، فقدم ما هو أقوى في دلالته على الخضوع، فالدخول فعل وحطّة قول ((والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول)) (٧).

---

(١) التفسير الكبير ٣٥/١٥.

(٢) أسرار التكرار ٢٨، فتح الرحمن ٣٥/١.

(٣) البحر المحيط ٤٠٩/٤.

(٤) التفسير الكبير ٣٥/١٥.

(٥) ملاك التأويل ٢٠٥.

(٦) تفسير المنار ٣٧٢/٩.

(٧) البحر المحيط ٤٠٩/٤.

وهناك رأي تفرد به الرازي (ت ٦٠٦ هـ) (١) أعاد سبب التقديم والتأخير فيه إلى المخاطبين بقوله: ((يحتمل أن يقال : إن بعضهم كانوا مذنبين والبعض الآخر ما كانوا مذنبين فالمذنب لابد أن يكون اشتغاله بحط الذنوب مقدماً على الاشتغال بالعبادة، لأن التوبة عن الذنب مقدمة على الاشتغال بالعبادات المستقبلة لامحالة، فلا جرم كان تكليف هؤلاء أن يقولوا أولا (حطه) ثم يدخلوا الباب سجدا، وأما الذي لا يكون مذنبا، فالأولى به أن يشتغل أولاً بالعبادة ثم يذكر التوبة ثانيا على سبيل هضم النفس وإزالة العجب في فعل تلك العبادة، فهؤلاء يجب أن يدخلوا الباب سجدا أولاً ثم يقولوا (حطة) ثانيا، فلما احتمل كون أولئك المخاطبين منقسمين إلى هذين القسمين لا جرم ذكر الله (تعالى) حكم كل واحد منهما في سورة)). وهو تفسير جميل.

٦. قال في البقرة: (خطاياكم) وفي الأعراف (خطيئاتكم)

فجمع (خطيئة) جمع تكسير (خطايا) وهو جمع كثرة(٢) في (البقرة)، وجمع مؤنث سالم(خطيئات) وهو (جمع قلة) في (الأعراف). لما أسند (سبحانه) القول الى ذاته في البقرة ناسبه أن يستعمل جمع الكثرة (خطايا) لأنها التي بجوده وكرمه أن يغفر الذنوب الكثيرة(٣)، ولما كانت سورة (البقرة) مسبقة للتوبيخ من خلال تعداد النعم ناسبها ذكر جمع جمع الكثرة(٤) زيادة في المنّة كما حدث في زيادة (رغدا).

والإتيان بجمعي القلة والكثرة في التركيبين يشير إلى أن هذه الذنوب سواء أكانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع(٥).

٧. قال في البقرة: (وسنزيد المحسنين) بواو العطف، وبدونها في (الأعراف) حيث قال: (سنزيد المحسنين) على الاستئناف، كأن قائلا قال :

---

(١) التفسير الكبير ٩٣/٣.

(٢) لأن جموع التكسير كلها جموع كثرة ماعدا (أفعل، وأفعال، وأفعلة، وفعلة) فهي جموع قلة، ينظر : التكملة ٣٩٨، وكذلك ما جمع بالألف والتاء فهو دلالة على القلة، ينظر التكملة ٤١٣.

(٣) درة التنزيل ١٦، أسرار التكرار ٢٩، التفسير الكبير ٩٢/٣-٩٣، غرائب القرآن ٢٩٥/١، وينظر: وجوه الاستبدال النحوي ١١٠-١١١.

(٤) ملاك التأويل ٢٠٧.

(٥) التفسير الكبير ٣٥/١٥

وماذا حصل بعد الغفران ؟ فقيل له : سنزيد المحسنين(١).

ولما كان القصد في سورة (البقرة) تعداد النعم – كما تقدم – والتي عددت عليهم بالتفصيل شيئاً بعد شيء، فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري على ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان(٢). فقد يكون طرح الواو أدلّ على كون هذه الزيادة تفضلاً محضاً ليس مشاركاً للمغفرة فيما جعل سبباً لها في الخضوع والسجود والاستغفار والدعاء بحط الأوزار(٣).

وقيل: إن قوله في الأعراف: (نغفر لكم خطاياكم) هو ما وقع في مقابلة قول الحطة، وقوله: (وسنزيد المحسنين) في مقابلة دخول الباب سجّدا، فترك الواو يفيد توزع كل واحد من الجزاءين على كل واحد من الشرطين. أما في (البقرة) فيفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزاء واحداً لمجموع الفعلين، أي : دخول الباب وقول الحطة(٤)

٨. قال في البقرة] **7 8 9 :** Z، وفي الأعراف قال:] **i j k l m** Z بزيادة (منهم) التي تفيد التخصيص أو التبعيض.

وذلك لأن أو القصة في الأعراف بني على التخصيص بلفظ (من) في قوله سبحانه :] **¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾** Z [الآية : ١٥٩] وقوله:] **q r s t u** Z فذكر أن منهم من يفعل ذلك، ثم عدد صنوف إنعامه عليهم وأوامره لهم، فلما انتهت القصة قال : (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)، فذكر لفظة (منهم) في آخر القصة، كما ذكرها في أولها ليكون الكلام اللاحق مبنيا على السابق مطابقا له(٥). أما في البقرة؛

---

(١) أسرار التكرار ٢٩، الكشاف ١٧١/١، التفسير الكبير ٣٥/١٥، البحر المحيط ٤٠٩/٤، فتح الرحمن ٣٦/١، تفسير المنار ٣٧٢/٩.

(٢) ملاك التأويل ٢٠٨.

(٣) تفسير المنار ٣٧٣/٩.

(٤) التفسير الكبير ٩٣/٣، غرائب القرآن ٢٩٦/١.

(٥) درة التنزيل ١٩، أسرار التكرار ٣٠، التفسير الكبير ٩٣/٣، ملاك التأويل ٢٠٨، معترك الاقران ٨٨/١، غرائب القرآن ٢٩٦/١.

فإنه لم يذكر في الآيات قبل قوله (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) تمييزا وتخصيصاً يلزم في آخر القصة ذكر ذلك(١).

٩. ولهذا السبب نفسه من التخصيص قال في البقرة :] ? @ A B Z ولم يقل فيها: فأنزلنا عليهم،كما في الأعراف؛ ((لأنه لو ورد كذلك لكان يتناول المتقدم ذكرهم على التعميم وليس مقصودا فنحرز بقوله:] ? @ A B Z أن المعذَب هوالظالم ممن تقدم، وجاء في الأعراف (عليهم) لتخصيص ذكر الظالم بقوله: (منهم)، فجاء كل على ما يجب))(٢).

ولما كانت القصة في (البقرة) قد سيقت مساق التوبيخ، كرر ذكر الظلم مرتين ليعادل ذكر النعم التي عددها عليهم.

١٠. قال في البقرة : (أنزلنا)، وفي الأعراف: (أرسلنا)

وقيل: إن الإرسال أشد عقوبة من الإنزال، لأنه يقتضي انسحاب العذاب وكثرته، أما الإنزال فلا يقتضي الانسحاب والتعميم(٣). أو الإنزال بعيد حدوث العذاب في أول الأمر والإرسال بعيد تسلطه عليهم واستئصاله لهم بالكلية(٤).

كما أن الإنزال أكثر ما يستعمل في القرآن الكريم للإنعام، لا للانتقام وهذا ما لاحظناه من خلال تتبع التراكيب التي ورد فيها فعل الإنزال. كإنزال الذكر، والملائكة والتوراة، والمطر، والرزق، والمّن، والسلوى، والحديد .. وما إلى ذلك مما فيه منفعة البشر أجمعين. وقلما استعمل الإنزال للعذاب بل ندر، فلم يستعمل لذلك إلا في ثلاثة أو أربعة مواضع من مجموع المواضع التي ورد ذكرها في القرآن(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٩٤/٣.

(٢) ملاك التأويل ٢٠٣.

(٣) التفسير الكبير ٣٥/١٥، ملاك التأويل ٢٠٣ ،معترك الاقران ٨٨/١ ، إصلاح الوجوه والنظائر ٢٠٣، وينظر الاستبدال النحوي ١٤٥.

(٤) التفسير الكبير ٩٤/٣.

(٥) ينظر على سبيل المثال السور: البقرة: ٥٩، والصافات: ٧٧١، والشعراء ٢١٠ ،٢٢١.

لذا ناسب استعمال الإنزال في سياق تعداد النعم في البقرة(١) ، ولكي لا ينسحب العذاب على ما عمم قبل التخصيص في قوله] 7 8 9 : Z(٢).

أما الإرسال فقد ذكر مع الفئة التي خصصها الله (تعالى) بقوله (منهم) ((ليعلم أن الرجز قد سلط عليهم تسليطا فأصابهم لتفاقم جرمهم)) (٣).

كما أن(نزل) وما هو من مادتها ورد في البقرة (٢٤) مرة، وفي الأعراف (٩) مرات، و(أرسل) وما هو من مادتها ورد في البقرة (١٧) مرة، وفي الأعراف (٢٩) مرة، فوافق كل منهما سياق السورة الذي ورد فيه.

١١. قال في البقرة: (يفسقون)، وفي الأعراف :(يظلمون).

والظلم وضع الشيء في غير موضعه(٤) وهو أعم من الفسق(٥)؛ لأنه يشمل الكفر والشرك والنفاق (٦)، أما الفسق فقد يقع بالقليل والكثير من الذنوب(٧)، فالفسق إذا لا يلزم منه الظلم، أما الظلم فيلزم منه الفسق(٨).

فلما استعمل في (البقرة) لفظ الإنزال وهو أخف في الإرسال ناسبها استعمال الفسق، وناسب استعمال الظلم مع الإرسال(٩) . وقيل لما بين (سبحانه) في (البقرة) كون ذلك الظلم فسقا، اكتفى بلفظ الظلم في (الأعراف) لأجل ما تقدم من البيان في (البقرة)(١٠). كما أنه استثقل إعادة لفظ الظلم في (البقرة) ثالثة بعد أن ذكره مرتين قبل هذا الموضع، فعدل

---

(١) المعترك ٨٨/١.

(٢) ملاك التأويل ٢٠٩.

(٣) وجوه الاستبدال النحوي ١٤٦.

(٤) لسان العرب (ظلم)٢٦٦/١٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (فسق)٣٨٠.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (ظلم)٣١٥.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن (فسق)٣٨٠.

(٨) معترك الأقران ٨٨/١.

(٩) وجوه الاستبدال النحوي ١٤٦.

(١٠) التفسير الكبير ٩٤/٣، غرائب القرآن ٢٩٦/١.

عنه الى الفسق(١). والفائدة من ذكر هذين الوصفين هي التنبيـــه علـــى حصـــول هـــذين الأمرين(٢).

البقـــرة ٦٠ / [K L M N O P Q R | T U V W

X Z| [\ ] ^ Z.

الأعـــــراف ١٦٠ / [' ( ) * + , - . / 0 |

2 3 4 5 6 |89 : ; < Z.

فقال في البقرة: (انفجرت)، وفي الأعـــراف : (انبجســـت). والانبجـــاس والانفجـــار يجتمعان في معنى واحد وهو خروج الماء وانبثاقه، جاء في اللسان : فجـــر هـــو يفجـــرُه فجرا فانفجر أي: يبجسه فانبجس(٣)، وبجست الماء فـــانبجس، أي : فجرتـــه فـــانفجر(٤). وبينهما فرق، لأن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يســـتعمل فيما يخرج من شيء واسع(٥)، وعلى هذا يكون الانفجار خروج الماء بكثرة، والانبجـــاس خروجه بقلة(٦).

وقيل الإنبجاس أول الانفجار، لأنه يكون انبجاسا ثم يصير انفجـــاراً(٧). فلمـــا ســـبقت آيات البقرة في تعداد النعم استعمل ما هو أبلغ في الكثرة ليناسب ذكر الـــنعم(٨). كمـــا أن الانفجار يناسب ما ورد قبل ذلك من الجمع بين الأكل والشرب في قوله: [` a b

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٥/٩ .

(٢) التفسير الكبير ٣٦/١٥.

(٣) لسان العرب (فجر)٣٥١/٦.

(٤) لسان العرب (بجس)٣٢٢/٧.

(٥) مفردات ألفاظ القرأن (بجس)، الجامع لأحكام القران ٤١٩/١.

(٦) التفسير الكبير ٣٣/١٥، المعترك ٨٨/١.

(٧) التفسير الكبير ٩٦/٣، الجامع لأحكام القران ٤١٩/١.

(٨) المعترك ٨٨/١.

c d Z [آية: ٦٠] ، في حين اقتصر في (الأعراف) على ذكر الأكل فقط فقال: [**P**
Q R S T Z [الآية : ١٧٢] وليس منهما (واشربوا) فلم يبالغ فيه(١).

وهناك سبب آخر في اختيار الفعلين في الموضعين، وهو أن الوارد في (البقرة) هو طلب موسى (عليه السلام) من ربه، أما الوارد في (الأعراف) فهو طلب بني إسرائيل من موسى (عليه السلام)، فلما كان طلبهم ابتداء ناسبه ابتداء (الانبجاس) وهو ابتداء خروج الماء، وطلب موسى (عليه السلام) غاية لطلبهم ؛لأنه واقع بعده ومرتب عليه فناسب الابتداء الابتداء، والغاية الغاية(٢)، وليكون فارقا بين طلب موسى وطلب قومه(٣).

هذا إلى جانب قوله تعالى لموسى (عليه السلام) في البقرة: (اضربْ بعصاك) من غير أن يذكر أنه أوحى إليه كما ورد في(الأعراف)، فناسب ذلك انفجار الماء الغزير(٤) مبالغة في إظهار كرمه (سبحانه) لموسى (عليه السلام). وهذا ما يعضده الاستعمال القرآني لفعل التفجير، حيث يستعمله في مواضع الإكرام والإنعام على البشر دنيوياً وآخروياً(٥).

وقيل : ((لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر، ثم تقل فينبجس))(٦).

كان هذا آخر تركيب نقف عليه في قصة موسى (عليه السلام) ، ولا نزعم أننا أتينا على كل التراكيب التي حدث فيها تكرار، ولكننا حاولنا استقصاء، أكثرها تشابها فما زالت هناك تراكيب يمكن الوقوف عليها ،والحديث عنها طويلا بقدر ما تحدثنا وربما أكثر، ولكن لا يتسع مجال البحث لذكرها وسنتناولها-إن شاء الله- في دراسات مستقبلية، فما زالت قصة موسى كما قال د. فضل حسن عباس(٧) : تحمل جوانب كثيرة تاريخية وجغرافية، ونفسية ونضيف نحن على قوله، أدبية ولغوية تحتاج إلى الدراسة.

---

(١) أسرار التكرار ٣٠، بصائر ذوي التمييز ١/١٤٤، فتح الرحمن ١/٣٧، وينظر : وجوه الاستبدال النحوي ١٠٢.

(٢) ملاك التأويل ٢١٣.

(٣) صفاء الكلمة ١٥٢.

(٤) وجوه الاستبدال النحوي ١٠١-١٠٢.

(٥) ينظر : البقرة ٧٤، الإسراء ٩١، يس ٣٤، القمر ١٢، الانسان ٦.

(٦) التفسير الكبير ٣/٩٦، غرائب القرآن ١/٢٩٨.

(٧) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ٣٤٢.

الخاتمة

وإذا كان لابد من ذكر نتائج للبحث فنشير إلى الآتي :

- الغرض من تكرار القصص القرآني هو الهداية والعبرة ، فالتكرار يذكر الأمم دائما بالمصير الذي حل بمن سبقهم من الأمم التي وقفت موقف التحدي من أنبيائها .
- اختلفت صيغ التعبير وأساليبه في عرض القصص القرآني مابين إيجاز وإطناب وإجمال وتفصيل ولين وعنف فقد عرض القران القصص بألفاظ متنوعة وأساليب متغايرة حتى أعجز العرب جميعا عن الإتيان بمثله .
- ورد ذكر موسى (عليه السلام) وقصته في (٣٤) سورة ، ولم يكن الحديث عنه من زاوية واحدة ، وإنما كثرت الجوانب التي عرضت للحديث عنه وذلك لما في كل منها من عظات ودروس .
- لعب السياق دورا كبيرا في تحليل الآيات المكررة وتوجيهها ، وكشف الأسباب التي دعت إلى الإيجاز أو الإسهاب أو استعمال مفردة دون أخرى .
- يعد خبر موسى (عليه السلام) مع فرعون وملئه من أكثر المقاطع التي تردد ذكرها في السور كلها ، وذلك لأهمية هذا الحدث في دعوة موسى (عليه السلام) ودعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فكان معادلا موضوعيا لعناد كفار قريش المتفرعنين أمام دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم).
- إن الاختلاف في النظم القرآني يعد نوعا من التفنن في إعادة القصة الواحدة في أكثر من موضع ، وقد كشفت الدراسة ان القرآن لم يكرر تركيبا إلا بعد أن يضفي عليه دلالة جديدة من خلال اختلاف بسيط في النظم بزيادة أو حذف أو إبدال .
- عرض القرآن الكريم في كل سورة جزئية من جزئيات القصة حسب السياق والمقام الذي وردت فيه مع المحافظة على روحية الحدث والموقف .

ثبت المصادر والمراجع

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الشهير بابن البنا ، صححه وعلق عليه: علي محمد الضباع ، بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تصحيح/ حسن محمد المسعودي، ط١، المطبعة المصرية ، مصر١٩٢٨م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة .
- أسرار التكرار في القرآن: محمد بن حمزة بن نصر الكرماني ، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار بو سلامة ، تونس ١٩٨٣م .
- إصلاح الوجوه والنظائر في القران الكريم (قاموس القران) : الدامغاني ، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل ، ط٢، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠م.
- أضواء على متشابهات القرآن يحتوي على١٦٥١سؤال وجواب ، بقلم الشيخ : خليل ياسين ، ط٢ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٠م.
- إعجاز القران : أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : أحمد صقر ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١م.
- إعجاز القران في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها ، الكتاب الثاني: الإعجاز في مفهوم جديد :عبد الكريم الخطيب ، ط١، دار الكتاب العربي ، مصر١٩٦٤م.
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية : محمود السيد حسن مصطفى ، تقديم : د. حسن عون ، ط١ ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣.
- إعراب القران : أبو جعفر النحاس ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٩م.
- إعراب القران الكريم وبيانه : محيي الدين الدرويش ، دار الإرشاد ، حمص.

- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن :عبد الله ابن الحسين العكبري ، تصحيح وتحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦١م.
- البحر المحيط : أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ، نشر مكتبة مطابع النصر الحديثة ، الرياض.
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٤م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : جمال الدين أبو عبد الله بن مالك ، تحقيق وتقديم: محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م.
- التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٧٣م.
- التعبير الفني في القرآن : د . بكري شيخ أمين ، ط٤ ، دار الشروق ، بيروت/ القاهرة ، ١٩٨٠م .
- التعبير القراني : د.فاضل صالح السامرائي ، دار الحكمة ، بغداد ١٩٨٧م .
- - تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر/ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .
- التفسير الكبير:الإمام فخر الرازي ، ط١ ، مصر.
- تفسير القرآن الكريم : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ط١ ، ١٩٨٧م.
- تفسير المنار:محمد رشيد رضا ، ط٢ مطبعة المنار ، مصر.
- التقابل الدلالي في القران الكريم – دراسة دلالية : منال صلاح الدين الصفار ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل/ كلية الآداب ١٩٩٤م.
- التكملة : أبو علي الفارسي ، تحقيق: د.كاظم بحر المرجان ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨١م.

- التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني ، عني بتصحيحه ونشره : أوتو برتزل – استنبول ١٩٣٠م ، القاهرة ١٩٦٨م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، ط ١ ، المكتبة العربية ، حلب ١٨٧٣م.
- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني : د. أحمد جمال العمري ، ط١، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٦م.
- دراسات قرانية : محمد قطب ، ط٥ ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٨م .
- دراسة نصية في القصة القرآنية : د.سليمان الطراونة ، ط٢، ١٩٩٢م.
- درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي ، ط٢ ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٧م.
- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- روح المعاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، ط١، المطبعة الأميرية ، مصر.
- سيكولوجية القصة في القرآن : د. التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١م.
- شرح المفصل : ابن يعيش النحوي ، عالم الكتب ، بيروت.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٦م.
- صحيح البخاري : البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت٢٠٠٢م.
- صفاء الكلمة : د.عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر – الرياض ١٩٨٣م .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان : الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، ضبطه وخرّج أحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان١٩٩٦م.
- الفاصلة في القران : محمد الحسناوي ، دار الأصيل ، حلب.

- الفاصلة القرآنية : د.عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ١٩٨٢م.
- فتح الرحمن لكشف ما يلتبس من القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري ، ط٢ ، مطبعة الخديوي ، مصر ١٢٩٩هـ.
- في ظلال القران : سيد قطب ، ط٥ ، بيروت ١٩٦٧.
- القصص القراني ايحاؤه ونفحاته: د. فضل حسن عباس ، ط١، دار الفرقان ، الأردن ١٩٨٧م.
- القصص القراني في مفهومه ومنطوقه : عبد الكريم الخطيب ، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٥م.
- الكتاب : سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد١٩٤١م.
- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مجاز القران : أبو عبيدة ، عارضه بأصوله وعلق عليه : محمد فؤاد سزكين، ط ١، القاهرة ١٩٦٢م.
- المخصص : ابن سيده ، المكتب التجاري ، لبنان ١٣٢١هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله أحمد بن محمود النسفي ، المكتبة الأموية ، بيروت/دمشق .
- مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق وتصحيح: إبراهيم عطوه عوض ، ط١، المكتبة العلمية ، لاهور١٩٧٥م.
- معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، بغداد١٩٨١م.
- معاني القران : الفرّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٠م.

- معاني القرآن وإعرابه : الزجاج ، شرح وتحقيق: د.عبد الجليل عبدة شلبي ، ط١،عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي ، دار الحكمة للطباعة والنشر - ج١و٢مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٩م ، ج٣ و٤ دار الحكمة ، بغداد ١٩٩١م.
- معترك الأقران في إعجاز القران: السيوطي ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء: عبد العال سالم مكرم ، وأحمد مختار عمر ، ط٢ ، الكويت ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٧م.
- مفردات ألفاظ القران : الراغب الأصفهاني ، تحقيق : نديم مرعشلي ، دار الفكر، بيروت.
- المفردة في القرآن : د.فاضل السامرائي ، مخطوط ، نقلا عن دراسة المتشابه اللفظي في آي التنزيل في ملاك التأويل.
- المقتضب : المبرد ، عالم الكتب – بيروت.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ، تحقيق: سعيد الفلاح ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت١٩٨٣م.
- الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشبيلي ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ط٣، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٨م.
- من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧م.
- من الدراسات القرآنية : د.عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت ١٩٧٨م.
- نظرات في القرآن : محمد الغزالي ، ط١، مؤسسة الخانجي ، بيروت ١٩٥٨م.
- وجوه الاستبدال النحوي في القران الكريم - دراسة وصفية تحليلية : عز الدين محمد أمين سليمان ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ١٩٩٣م.

- الوحدة الموضوعية في القران الكريم : محمد محمود حجازي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠م .